قصة

ثُقة بين أنياب الخيانة



بقلم فارس الأدب

د.أبو أحمد العثماني

القاهرة

1447هـ/2026م

الفهرس

🕮الفصل الأول :البيت الذي تسكنه الظلال

لم يكن البيت بيتًا.
كان هيكلًا من طمأنينةٍ مصطنعة، تُلمّعها الضحكات المعلّبة، وتُخفيها ستائرٌ لا ترفعها الشمس.
دخلتُه مرةً، فشعرت أن الجدران تراقبني، وأن الأبواب لا تفتح بيد... بل بنية.

نوارة...
ذاك اسمها، وذاك أول ما أسكنني الخوف.
اسمٌ فيه نور... لكنه لا يُضيء،
بل يجرح كالشمس التي تباغتك بعد عتمة بكاء.

لم تكن زوجتي، بل أختها.
لكنها كانت تبتسم كثيرًا في وجهي، وتُطيل النظر حين أغضّ الطرف.
وفي كل زيارةٍ كانت تدخل المطبخ قبلي، وتخرج قبلي، وتُقدّم الطبق بيدين لا ترتجفان، لكنني أنا... كنت أرتجف كل مرة بعد الأكل.

شيءٌ في جسدي كان يتغير.
كأن قلبي يُكتم، وكأن عيني ترى من بعيد ما لا يُقال.

ثم بدأت أمها تظهر أكثر...
بصمتها الثقيل، وهمسها الذي يُشبه الأدعية لكن لا يُطمئن القلب.
يضعن التمر في الماء... ويقرأن، ثم يقدمنه لي باسم "البركة."
لكنني كنت أشرب "الخذلان" وأنا أقول: آمين.

لم أتهم أحدًا.
بل اتهمت نفسي بأنني "أتوهم"، وأن الخوف مرضٌ لا دواء له إلا الإيمان.
لكنني ما كنت أعلم أن الإيمان نفسه كان يُسمم في طعامي، قطرة قطرة...

وكان البيت...
يسكنه الظلال... لا السكينة.

🕮 الفصل الثاني: طعنة في ملح الخبز

أعرف رائحة الخبز حين يُخبز بحُب.
أعرف لونه، صوته وهو يُكسر...
لكنني لم أكن أعرف أن هناك خبزًا يُخبز بـ"النية الخبيثة"، ويُقدَّم على مائدة لا روح فيها، فقط سمٌّ يلبس طهارة القمح.

منذ تلك الليلة...
ليلة الجمعة التي خرجت فيها زوجتي من المطبخ، وهي تهمس في أذن نوارة،
ثم تلتفت إليّ بعينين لا أعرفهما،
شعرت أن شيئًا يُكسر،
لا في المائدة... بل في **الميثاق**.

"كلْ، لن تشبع".
قالتها زوجتي، تظنها دعابة.
لكنها لم تكن كذلك.
كانت نبوءة،
لأنني منذ تلك الليلة،
كنت آكل ولا أرتوي،
أنام ولا أستريح،
أحضن أولادي... وأشعر أنهم يُسحبون مني خُفية.

نوارة...
كانت تضحك أكثر من اللازم.
تدخل علينا فجأة، وتضع يدها على كتف زوجتي كأنها تهمس لها "لا تخضعي له كثيرًا"،
ثم تنظر إليّ،
وتنصرف وهي ترتب وشاحها،
كمن غرس شيئًا في المكان... ومشى.

في ذلك الأسبوع...
بدأت زوجتي تتغيّر.

لم تعد تحب صوتي.
لم تعد تضحك حين أحكي عن الأحلام.
تغلق الأبواب أسرع...
وتفتح قلبها أبطأ.

كنت أعرف.
أقسم أنني كنت أعرف.

لكن ما أصعب أن تُطعن في ملح الخبز،
أن يُدسّ السمّ في لقمة كانت تُطعمك الحياة...
ثم تُسأل: "هل أكلتَ وحدك؟ أم أنك استحققتَ هذا الطعم؟"

وفي الليل...كنت أسمع صوتًا في صدري يقول:

"نوارة... ليست فقط ظلًّا، بل سُمٌّ لزج يتسلل من بين حروف الكرم، ويقلب البيوت قبورًا وهم لا يشعرون".

🕮 الفصل الثالث: المال الذي اشترى المسافة

في البيوت، المال خادم...
لكن في بيتنا، المال صار **سيدًا**،
يصدر الأوامر في صمت،
ويُغيّر القلوب كما تُغير النار لون الحديد.

نوارة...
كانت لا تُنجب.
كل الأطباء قالوا كلمتهم:
"رحمكِ لا يحمل الحياة"...

لكنها لم تبكِ،
بل قررت أن تُجهض حياة الآخرين بدلًا من أن تنجب.

قالوا لها ولزوجها سامري:
"لن تُرزقوا إلا إذا افترقتم".
فأقسمت...
أن تجعل هذا الرجل لا يزرع في أرضٍ بعدها،
ولا يُثمر قلبه إلا شوكًا.

وكانت البداية بي.

بدأت تُغدق على إيمان زوجتي بالمال...
حقيبة، هاتف، عطر فرنسي، مصروف شهري...
أغرتها حتى أصبحت **تشعر أن كرامتها تُقاس بما تدفعه نوارة... لا بما أقدمه أنا.**

إيمان...
من كانت تبكي لأجلي،
صارت تهرب إلى إسطنبول بالأشهر...
تعود باردة، جامدة، كأنها لم تكن يومًا حبيبتي.
كانت تُكلّفني فوق طاقتي...
ونور، كلما جاءت أسبوعًا،
أُنفق عليها ما يكفيني لأسرتي كلها لشهر!

نوارة...
كانت تدخل البيت، تتعطر بعطرٍ حاد،
وتضحك بصوتٍ أجوف،
تُسقِط عيناها على جسدي... وتُحاول أن تُشعل نارًا،
كنت أقول لنفسي:

"ربما ليس قصدها... ربما فقط اعتادت أن تلفت الأنظار".

لكنني كنت أعرف...

أن بعض النوايا لا تحتاج شرحًا... يكفي النظر في أعينهم.

وفي السوق...

كنا نذهب لنشتري لعبة لعبودة،

يختار واحدة بألف ليرة... فأقول له:

"يا ابني خذ مثلها بمئتين".

فتُقاطع نوارة، وتقول:

"لا تُبخل عليه... هذه أفضل"!

وتدفع المبلغ كاملًا،

أمام ابني، وأمام قوامتي... وأمام جُرحي الذي لا يُرى.

هكذا...

كانت تكسرني في العلن... وتُفسدني في السر.

تُغرق بيتي بـ"المال..."

حتى **غرقت رجولتي أمام عيون زوجتي.**

وفي ليلة...

ذهبت إيمان إليها، فعصتني، وسافرت وحدها،

وطردتها نوارة بعد شهر... بلا رحمة...

فمن الذي أنقذها؟

أنا.

أنا من جعل صديقي عبد الصمد وزوجته الفلسطينية يأخذونها أسبوعًا.

أنا من جعل صديقي التركي يُوصلها، ويحتويها مع زوجته...

لكنها نسيت.

نسيَت أنني ما زلت الرجل الذي يحميها... حتى بعد أن هربت منه.

ما أصعب أن يُكسر رجلٌ في بيته، بيد امرأةٍ لا تحبه، ولا تحترمه...

بل فقط، **تحرّض زوجته على التمرّد، وتبتسم في وجهه وهي تُشعل النار، ثم تقول: "أنتم من أشعلتموها".**

"رحيل الحياء"

عن أول مرة خرجت فيها إيمان من البيت دون إذن... وكيف أصبحت تجادلني في كل شيء، وتُفكر كما تُفكر نوارة، وتقول ما لم تكن تجرؤ أن تهمس به من قبل.

وفي ليلة...

ذهبت إيمان إلى أختها **نوارة بنت الخياط**، وقد عصتني، وسافرت وحدها إلى إسطنبول وهي **حاملٌ بيزيد**...

ظنّت أنها تجد في أختها سندًا،

لكن نوارة...

التي ملأت صدرها بالحقد،

طردتها بعد شهرٍ كاملٍ من الإنهاك والذل... بلا رحمة، ولا شفقة، ولا حتى كسرة خبز.

ومن الذي احتواها بعد أن جفّت أختها منها؟

أنا...

أنا من أرسلت صديقي عبدالصمد وزوجته الفلسطينية ليأخذوها.

أنا من طلبت من صديقي التركي أن يذهب بها لأمه كي تجد مأوى ليالٍ معدودات...

لكن إيمان، كعادتها، نسيت...

نسيت أنني ما زلت الرجل الذي يرحم... حين تخلى عنها الجميع، حتى دمها.

🕮 الفصل الرابع :رحيل الحياء

لم يخرج الحياء من بيتنا ذات يومٍ،

بل **أُخرج... عنوةً.**

خرج وهو ينظر خلفه إلى عينين أحبّتهما... فلم تعودا تُبصرانه.

إيمان...

كانت تُغضّ بصرها إذا رفعت صوتي يومًا،

وكانت تخفض جناحها إذا غضبت...

أما الآن،

فصارت تتحدث كأنها تجلس في مقهى مع "نوارة"، لا في بيت رجلها.

كانت ترفع صوتها بحجّة النقاش،

تُجادل كأنها في مناظرة،

وتسألني:

"لماذا تظن أن رأيك دائمًا صواب؟"!

كنت أراها تتحوّل،

قطرة قطرة،

كأن نوارة تصبّ شيئًا في أذنيها كل ليلة،

ثم تنظر إليّ صباحًا وتقول:

"لماذا لا تفهمها؟"!

تلك الليلة...

كانت المفترق.

كنت جالسًا أعدّ المصروف،

أحسب ما بقي من نقودي بعد زيارة نوارة...

فإذا بإيمان تأتي وتقول بثقة:

"أنا قررت أروح إسطنبول أسبوعين... محتاجة أغير جو".

نظرتُ إليها...

كأنني لا أعرفها،

فأنا الرجل الذي لا تخرج زوجته دون إذن،

لا لأنها مملوكة، بل لأنها **محفوظة.**

قلت:

"وممن أخذت الرأي؟"

قالت ببرود:

"مش محتاجة آخذ إذنك في كل شيء".

تلك الكلمة...

كسرتني أكثر من طعنات الغدر.

لأنها خرجت من لسان امرأة...

كانت بالأمس تخلع حذاءها عند الباب خشية أن تُوقظني بصوتها،

واليوم ...**تخلع هيبتي كلها، بعبارة باردة.**

علمت بعدها أن نوارة اشترت لها تذكرة،

وفتحت لها بيتًا،

وقالت لها:

"انسي إنك زوجة... فكّري كأنك امرأة، مستقلة"!

وهنا، رحل الحياء...

ولم يودّعني.

أقسم أني لم أمدّ يدي عليها يومًا،
ولم أرفع صوتي إلا غيرة…
لكنها، منذ دخلت نوارة عقلها،
بدأت تُشبهها:
في المشية، في الملبس، في النظرة،
حتى في رائحة العطر.

كأن نوارة ليست أختها…
بل **قرينٌ أُرسل ليُفسدني، عبر من أحببت.**

يا الله…
ما أصعب أن ترى زوجتك تُحاربك بسلاح أختها،
وأن تنام قربك جسدًا…
لكن عقلها هناك، في حضن امرأة أخرى، تهمس لها كل ليلة:
"أنت لا تُحبينه… بل تعوّدتِ عليه فقط".

📖 الفصل الخامس :أما أنا… فقد بدأت أختفي

ما أصعب أن لا تموت دفعةً واحدة،
بل تنقص من نفسك يومًا بعد يوم،
كأنك تُنزَع عنك بالحلقات…
حتى لا يبقى منك سوى ظلٍ لا يتذكر مَن كان قبله.

لم أعد أصرخ.
لم أعد ألوم.
لم أعد حتى أطلب منها أن تُحبني…

كل ما كنت أفعله أني **أرتّب الغرفة بعد مغادرتها،**
أغلق الباب بلطفٍ لا يُوقظ العتاب،
وأحمل فنجانها الفارغ كأنني أرتّق به فراغي.

إيمان لم تعد تنظر لي.
كانت تنظر "عبرِي..."
كأني كرسي، أو ساعة حائط،
شيء اعتادت وجوده، لكن لا يلفت الانتباه.

حتى الأولاد...
صاروا يسألونها عن رأيها، لا رأيي.
وكانت تقول لهم:
"بابا مشغول... ما تحرجوه بالسؤال".
لكنني لم أكن مشغولًا...
بل **مُقصى، ومحكوم عليّ بالصمت.**

أتدري متى عرفت أنني بدأت أختفي؟
حين وقفت أمام المرآة ولم أعرف وجهي.
اللون شاحب،
العينان غائمتان،
الملامح لم تعد لي...

لم أعد الرجل الذي يملأ الغرفة حين يدخل،
بل ذلك الذي **تتجاوزه بالحديث، وتتناسوه عند العشاء، وتقولون عنه في سرّكم: "كان رجلًا طيبًا... لكنه انطفأ".**

نوارة كانت السبب.

هي من أطفأتني…

لا بالماء، بل **بالنار التي زَرعتها في عيني إيمان.**

نارٌ من شك،

نار من تمرد،

نار من "لماذا تطيعيه؟…"

حتى أصبحت إيمان تراني قيدًا، لا سندًا.

وفي المساء…

كنت أسمع إيمان تضحك مع أختها،

ضحكة لا تشبه تلك التي كانت تضحكها لي.

ضحكة جديدة…

ضحكة لا تحملني معها.

فهمت حينها…

أن بعض الضحكات **تكون إعلان وفاة لقلوبٍ أخرى.**

يا الله…

أما أنا…

فقد بدأت أختفي.

🕮 الفصل السادس: ليلة الطرد… والمخاض في الشارع

ما أوجع أن تطردك الحياة…

لكن ما أشد أن تطردك أختك،

وأنت في **شهرك الأخير، تمشين بأثقل بطن، وأثقل قلب، وأثقل خديعة.**

إيمان...

من كانت زوجتي، ودفء بيتي،

سافرت وحدها،

رغم توسّلي، رغم قسم قلبي، رغم دمعة أولادي...

قالت:

"أنا ذاهبة لأختي... وسأرتاح عندها".

لكنها لم تكن ذاهبة للراحة...

بل كانت **تذهب نحو الهاوية بقدميها، تظنها بيتًا.**

نوارة بنت الخياط...

رحمٌ عقيم...

لكن قلبها كان **أعقم من رحمها.**

حملت الحقد في صدرها بدلًا من الحمل،

وأقسمت أن لا ترى طفلًا ينمو في بيت لا يخصها.

كانت تعرف أن إيمان **في شهرها التاسع، على وشك المخاض، ضعيفة، مرهقة، تبحث فقط عن حضنٍ لا يُعاتب.**

فاستقبلتها بوجهٍ دافئ،

وغرست أنيابها في ظهرها ...**باسم القرابة.**

ومرّت الأيام...

وإيمان تتألم، تبكي خفية، لا تعرف ماذا يجري...

حتى جاءت تلك الليلة:

ليلة الطرد.

"اخرجي"!

قالتها نوارة،

ببرود امرأة ما عادت تعرف معنى الرحِم،

ولا حتى صلة الرحم.

"لا أريد امرأة تبكي في بيتي، ولا تُنجب من رجلٍ لا أحترمه".

طردتها **وهي تمشي حافية، تجر بطنها، لا تعرف إلى أين،**

والشارع يبرد،

والدمعة تحرق،

والليل بلا مأوى.

ومن الذي سترها؟

أنا.

رغم الخيانة،

رغم العصيان،

رغم أنها اختارت نوارة عليّ...

أنا من أرسلت لها عبدالصمد وزوجته الفلسطينية،

ليسكنوها...

والرجل – عبد الصمد – ذهب إلى أمه،

ليترك النساء وحدهنّ، فلا يحرجها... ولا يخذلني.

كان يطرق الباب فقط،

يضع الحليب، الخبز، والدواء،

ويعود دون أن يدخل.

وأنا... كنت أراه في قلبي، وأبكي من صمته الذي كان أحنّ من صراخ أختها.

لكن إيمان...

نسيت.

نسيت من سترها،

ونسيت من منع عنها الذل،

ونسيت أنني كنت سندها... حين رماها قلب أختها **قبل أن يرمى الجنين.**

يا الله...

أي شتاتٍ هذا؟

أن أُطعن من زوجتي،

ويُدفن احترامي في بيت أختها،

ثم أُمدّ يد العون، ولا يُرد لي إلا الصمت والنكران؟

ليست الحياة من طردت إيمان...

بل نوارة.

وليست أنا من خذلها...

بل قلبها.

🕮 الفصل السابع :يوم بكيتُ أمام أطفالي

لم يكن يومًا عاديًا.

فالرجال لا يُهزمون أمام أطفالهم... إلا حين ينكسر ظهرهم من الداخل،

ويفلت حبل الصبر من بين أصابعهم دون أن ينتبهوا.

عبودة سألني:

"بابا... ليه ماما ما رجعتش لسه؟"

فأجبت وأنا أُصلح لعبته:

"ماما تعبانة شوي... وهترجع لما ترتاح".

لكن الحقيقة أن "ماما" كانت ترتاح منّا،

ترتاح من هذا البيت الذي صار يشبهني ...**هادئ، صامت، ينزف دون صوت.**

ذلك المساء...

كانوا جالسين حولي،

وأنا أعدّ ما تبقى من نقودي،

أُخطط لوجبة الغد،

وأبحث عن عطرٍ كان يملأ البيت ثم اختفى...

فبكى الأصغر فيهم فجأة.

"بابا... ماما فين؟"

جاء السؤال من مكان بعيد...

من قلبٍ لم يعد يجد أمه قربه،

ومن عينين تبحثان عن دفءٍ لا يعرفان كيف يُطالبان به.

نظرت إليه...

وتناثرت الكلمات من فمي كأنني أختنق بها.

أردت أن أقول: "أمك خانتني، وأختها أشعلت بيتنا".

لكنني قلت فقط:

"كل شيء بخير".

وابتسمت...

ثم بكيت.

نعم، أمامهم.

لأول مرة... بكيت.

بكيت،

لأن قلبي لم يعد يحتمل دور "الرجل الذي لا يُهزم".

بكيت،

لأنني شعرت أنني **أفقدهم واحدًا واحدًا، كما فقدتها،**

ولأنني خفت أن يروا فيّ الضعف فيظنوه العادي.

كانت نوارة في الخلف،

تضحك في مجلس ما،

تشرب قهوتها بترف المنتصر،

وتظن أن ما بيني وبين إيمان **مسألة "تفاهم"... لا جريمة غدر.**

لكن لا أحد رآها وهي **تسحب إيمان من يدي،**

وترسم لها طريق التمرد،

ثم تتركها في منتصفه بلا مخرج.

ولا أحد رآني،

وأنا أُكفن كرامتي بصمت،

وأدفن صوتي في الليل كي لا يسمعه أولادي وهم نائمون.

في ذلك المساء...

بكيت.

ليس لأنني ضعيف،

بل لأنني **كنت أُحاول أن أكون قويًا أكثر من اللازم... فانهار شيءٌ في داخلي.**

🕮 الفصل الثامن :الخيانة لا تبدأ من السرير... بل من الغياب الطويل

الخيانة ليست قبلة تُسرق في الظلام،
ولا همسة تُقال في لحظة ضعف،
بل هي ...**نقصٌ يتراكم، حتى يفيض من صاحبه على غيره.**
هي ثغرة في الروح، يُملؤها من لم يُؤذن له بالدخول.

نوارة بنت الخياط...
لم تكن تبحث عن رجلٍ يحبها،
كانت تبحث عن **رجلٍ يشبعها.**
امرأةٌ تزوّجت مرتين، وخرجت من كل زواج كما دخلت:
فارغة من الولد...
ممتلئة بالحقد.

زوجها "سامري بن المالح"،
كان عاجزًا، لا يُرضي فيها إلا اسمه على أوراق رسمية.
وهي، التي رأت في نفسها "أنثى لم تُخترق بعد"،
قررت أن لا تُهدر ما تبقّى من جوعها العاطفي في بيت لا يُشبعها.

بدأت بالأقرب...
كانت تحوم حولي، تبتسم، تلمّح...
تختار ثيابًا ضيقة حين نكون وحدنا في غرفة الطعام،
تسألني عن أشياء لا تُسأل إلا في السر،
وكانت تقول:
"أنا فقط أمازحك... لا تأخذ الأمور بجدّية".

كنت أُشيح بنظري،
أردها بلطفٍ لا يجرح،

وأقول في قلبي:

"حرامٌ أن تفتح بابًا أنت تعرف أنه لا يُغلق بسهولة... لا لأجلها، بل لأجل إيمان".

لكن نوارة لم تكن تردّ بسهولة.

فما لا يُفتح بالعاطفة... يُفتح **بالإغراء، بالضغط، بالانهيار البطيء.**

وفي الظل...

كان هناك "هو."

ذاك التلميذ الذي كانت تدعوه لتعليمها الإنجليزية،

فعلّمها أولاً السجائر... ثم الخمر... ثم كيف تُخفي الأسرار.

كانت تُرسل له مصروفًا شهريًا...

عشرة آلاف ليرة كاملة،

من حسابها المشترك مع سامر.

وحين يسألها سامر عن المال،

كانت تقول:

"أُنفقناها في البيت... على الطعام، وعلى الكهرباء"!

سامر لم يشكّ في الخيانة...

بل في المصروف.

وطلقها مرتين...

لا لأنها خانت، بل لأنها **أنفقت أكثر مما يتحمّله "رجولته المالية."**

أما أمها، **هالة الريشي**...

فكانت الخطيئة التي تربّت نوارة على ركبتَيها.

امرأة لم تحب زوجها قط،

سرقته، واحتقرته،

وكانت تقول لي:

"الرجل الحقيقي هو اللي يرجع من الشغل يطبخ وينضف...
إحنا بناتنا في سوريا خوانم... ما بيخدموا رجال"!

وكانت تُرسل رسائلي التي أكتبها لإيمان... إلى أمها!
نعم...
كل حروف الود، والرجاء، والتوسل...
كانت تقرؤها هالة،
وتضحك، وتقول لإيمان:
"شايفه؟ مش راجل... لو كان راجل، ما بكى بهالطريقة".

بيتهم كان معملًا...
يُنتج نساءً يُكرهن الرجال،
ويُدربن بعضهن على أن "الطاعة خنوع"،
وأن "الكرامة أن تُديري ظهرك قبل أن تُطعن."

لكنني كنت أنظر لنوارة...
فلا أراها امرأة فقط...
بل **سُلَّمًا مكسورًا... كل من صعدت عليه، سقطت.**

الخيانة لم تبدأ حين خانت،
بل حين بدأت تغيب عن قلبها كل معاني الوفاء،
حتى ظنّت أن اللذة... تُغني عن العهد.

🕮 الفصل التاسع :هالة الريشي... حماة لكن ملعونة

"أمهات السُمّ... لا يُربّين بنات، بل قنابل خيانة زوجية مؤجلة"

في كل بيت خراب،

هناك ظلُّ امرأةٍ لم تُصلح قلبها... فحرّضت قلوبًا على الهدم.

وفي بيتهم...

كانت هالة الريشي،

أمًّا، وساحرة، وقاضية نرجسية لا تحكم إلا على الرجال بالإعدام.

لم أحبّها يومًا...

لكنني احترمتها،

لأنني ظننت أن كل أمٍّ، في النهاية، **هي ظلُّ الله في الأرض... حتى لو ثقلت خطواتها.**

كنت مخطئًا.

هالة الريشي لم تكن أمًّا...

بل كانت **اللعنة التي وُلدت إيمان و"نوارة بنت الخياط" من رحم كير لا من بطنها.**

امرأة فقدت ذاكرتها عامين ونصف في الحرب...

لكن حين عادت، لم تنسَ شيئًا من خُبثها.

نسيت اسمها...

لكنها لم تنسَ كيف **تحرّض امرأةً على رجلها، وتُربّي بنتًا على أن الرجولة مرض يُقاوم، لا ظهرٌ يُسند.**

زوّجت ابنها حسن من بنت خالته "زهرة" رغمًا عنه،

ثم خرّبت بيته...

ثم زوّجته من إماراتية،
ثم جعلته يطلّقها ليلة الدخلة.

ورغم كل هذا...
ورثت البنات ميراثهنّ؟
لا.
أكل ميراث أخواته ليبني رجولته على أنقاض صرخاتهن.

هذه هي الأم التي كانت تُلقّن إيمان:
"زوجك مش راجل... السوريين بيرجعوا من الشغل يطبخوا وينظفوا... إحنا بناتنا خوانم"!

وكانت إيمان... تحفظ.

وكانت تُرسل لها رسائلي،
كل دمعة، كل اعتذار، كل رجاء،
وتضحك معها وهي تقرأ:
"شايفه...؟ متحكمش البيت ده أبدًا. خليه يبكي، كده أريح لك"!

نوارة... لم تُخلق نرجسية.
إيمان... لم تُولد خائنة.
لكن هالة الريشي **ضربت أول مسمار في قلوبهن، ثم تركتهن يُكملن طرق الخيانة بأيديهن.**

لم تكن حماة...
بل ملعونة.
امرأةٌ لا تفتح بابها لأصهارها،
بل تفتح لنسائها باب الشيطان... وتقول لهن:
"ادخُلن في طاعتي، وأنا أُربي أزواجكن كما أُريد".

ويا ليت الخيانة كانت آنية،

لكنها كانت **قنبلة مؤجّلة، تنفجر في الزمن الذي تظنه الأهدأ.**

🕮 الفصل العاشر :إيمان… حين تلبّستها أمّها

في البداية، كانت تُشبه أمّها قليلًا…

في بعض العبارات، في طريقة الجلوس، في نظرة لا تُكملها.

ثم شيئًا فشيئًا…

بدأت **تُصبحها.**

صوتها لم يعد صوتها.

نظرتها لم تعد تنظر إليّ… بل **تنظر بي.**

كنت أسمع "هالة الريشي" في كل كلمة تقولها إيمان.

لم تكن تتحدث من قلبها،

بل من ذاكرةٍ ليست ذاكرتها.

ذاكرةُ أمٍّ تقول:

"أنتِ لستِ خادمةً في بيت رجل… كوني سيدة القرار"!

لكن القرار الذي لا يُبنى على احترام،

هو خنجر في خاصرة الميثاق.

قالت لي ذات ليلة:

"أنا مش صغيرة… مش كل شيء لازم يكون بإذنك".

قلت:

"وأنا ما كنتُ حارسًا... كنتُ راعيًا".

فقالت:

"كل راعي بيراقب... وأنا تعبت من الرقابة".

تعبت من الحُب؟

من القوامة؟

أم من حكاية أمّها التي ظلّت تُخبرها:

"ما في رجل بيستاهل تُنكسر بنت عشاني".

إيمان لم تُكسر...

لكنها **كُسِرت فيي.**

أغلقت عليّ الباب في الليل،

أصبحت تنام في غرفة أخرى،

تختلق أعذارًا من تعبٍ أو صداعٍ أو ألمٍ نفسي،

لكنني كنت أعلم...

أنها **تخشى أن تلمس يدها يدًا ما عادت تراه "رجلاً."**

وفي كل عراك،

كانت تُمسك الهاتف،

وتغلق على نفسها الباب،

وتُرسل تسجيلًا صوتيًا لأمها أو أختها.

لا لتشكو...

بل لتقول:

"اسمعوا... شوفتوا كيف بيحكي معي؟"!

كنت حذرًا في صوتي،
أنتقي كلماتي كأنني أُملي بيانًا يُمكن استخدامه ضدي،
لكنهم كانوا لا يسمعون النبرة... بل يصنعون التهمة.

في لحظة...
لم أعد أعيش مع إيمان،
بل مع "هالة الريشي..."
تلبّستها، سكبتها في جسد ابنتها،
فأصبحت البنت أمًّا جديدة... بوجهٍ شاب، وسمٍّ أقدم.

لم تعد زوجتي.
لم تعد أخت نفسها.
بل صارت مُجرد امتداد لأمٍّ تعيش بخبثها في بناتها،
وتُرضعهن الكره مع كل نصيحة،
وتُلبسهنّ القسوة كأنها درع... ضد كل رجل، حتى إن أحبها.

📖 الفصل الحادي عشر :سامري بن المالح... حين خانه من علّمه

" سامري بن المالح... حين خانه من علّمه"

عن اكتشاف سامري أن تلميذه في معهد اليوس هو عشيق نوارة... واللحظة التي التقى فيها الغدر بالمذلة.
سنروي الآن كيف سُرقت رجولة **"سامري بن المالح"** من تلميذه الذي ربّاه... ولم يكن يدري أنه يُسلّمه زوجته، لا علمه.

في معاهد اليوس، كان "سامري بن المالح" سيد الكلمة.
رجلٌ يحفظ المناهج عن ظهر قلب،
يشرح المسائل وكأنه يُفكك أسرار السماء...
لكنّه نسي أن **الخيانة لا تُحل بالمنطق، بل تُفجّر في النقطة العمياء.**

كان يُعلّمه،
ذاك الفتى النحيل، المهذب، الذي لا يرفع عينه أمام الرجال...
لكنّ نوارة...
رفعت له كل الستائر.

من بين عشرات التلاميذ،
دخل ذاك الشاب قلب البيت...
لا من باب العلم،
بل من "باب نوارة"،
التي قرّبته، أطعمته، ضحكت له،
ثم أهدته قلبها في غياب زوجها... على صحن المعرفة.

لم يكن سامري رجلًا غبيًا،
لكنه كان يثق،
وكان يظن أن من يصنع له القهوة،
لا يُمكن أن يُسكبها في حجرٍ غير حجره.

حتى أتى اليوم الذي تغيّر فيه كل شيء.

دخل البيت مبكرًا...

ليجد الباب مواربًا،

وصوتًا في المطبخ لا يُشبه صوته،

ولا صوت نوارة...

بل "همهمةٌ" تُشبه خيانة لا تُعلن نفسها، لكنها **تقطر من الجدران.**

خرج التلميذ من المطبخ،

بيده كوب، وفي عينيه دهشة...

ثم استدار ليقول:

"مرحبًا أستاذ".

و"الأستاذ..."

لم يجب.

لم تكن الكلمة قاسية،

لكنها خرجت من فمٍ تذوّق من جسد زوجته قبل أن يناديه "أستاذًا" من جديد.

في تلك اللحظة،

لم يُضرب سامري بسكين،

بل **بكل لحظة علّمه فيها كيف يكون رجلاً.**

لم يسأل نوارة شيئًا،

لم يصرخ،

لم يطرد التلميذ،

فقط دخل الحمّام،

وتقيّأ كل ما ظنّه "كرامة".

بعدها بيومين، طلقها.

لا لأنها خانته - فهذا يحتاج إلى شرف ليُصاب،

بل لأنه أدرك أن **منح العلم لشخصٍ بلا أخلاق... هو كالزرع في أرضٍ سامة.**

نوارة لم تبكِ.

بل قالت له ببرود:

"كنت تشرح دروسك للجميع...

فلماذا انزعجت حين حفظني أحدهم عن ظهر قلب؟"

وهكذا...

ماتت رجولة سامري لا حين عجز عن إرضائها،

بل حين عرف أن من تعلّم منه...

قد تعلّم أكثر مما كان يظن.

🕮 الفصل الثاني عشر :بيت يُسرق على مراحل

الخيانة لا تدخل البيوت دفعةً واحدة،

بل تأتي كما يأتي المرض في الجسد...

بهمسة، ثم حرارة، ثم انهيار.

في البداية،

كان كل شيء يبدو طبيعيًا.

نوارة تخرج...
تُخبر سامري أنها ذاهبة للكوافير،
أو إلى مركز "تجديد الطاقة"،
أو إلى الجيم،
أو جلسة استرخاء بالزيوت العطرية...

وكان سامري يهز رأسه فقط.
يُهمّه أن يعود إلى كشف الحساب،
لا إلى كشف الحقيقة.

لكن الحقيقة...
كانت تنام على سريرٍ آخر.

لم يكن ذاك التلميذ مجرد شابٍ يطلب العِلم،
بل **ذئبٌ تعلم صوت الخطوات،**
وتعلّم أن الرجل الذي يغفل عن أنثاه لا يستحقها.

كان ينتظرها في شقته،
يعدّ لها القهوة،
ويفتح الستائر،
ويغلق باب الضمير.

كانت تدخل عليه،
وفي عينيها **نظرة امرأة جائعة،**
لم تأتِ لدرس... بل لتنسى أنها متزوجة.

كانت تخلع معطفها...
وتخلع كل ما بقي من ذرة احترام لذاتها.

وكان هو...
يقرأ من عينيها أنها لن تُنجب،
لكن يمكنها أن تمنح كل ما تملكه أنثى **لا تعرف الأمومة،**
لكنها تجيد التمرغ في وهم الحب.

قالت لإيمان يومًا، وهي في ذروة "صدقها:"
"أول ما يخلص مصاري سامري... برميه زي الكيس الفاضي".
قالتها وهي تضحك،
ولم تكن تدري أني كنت أسمع.

سامري؟
ما زال لا يدري.
أو لعلّه يدري،
لكنه لا يجرؤ أن يرفع رأسه من أوراق الفواتير،
خشية أن يرى رجولته تُغتصب أمامه،
بصمت.

نوارة كانت تسرق البيت،
سريرًا، سريرًا،
حتى صارت أنفاسها لا تعود إلا ملطخة بعطرٍ لا يشبه سامري،
ولا حتى البيت.

الخيانة حين تتكرّر... لا تصبح خيانة،
بل **حياةً أخرى تُبنى خلف ظهرك.**

وأنا كنت أراها،

أراها تُبنى،

لكنني لم أستطع هدمها،

لأنني كنت أُرمم بيتي المنهار.

الفصل الثالث عشر، فصل الرجولة التي انكسرت لا بالخيانة،

بل بلعبة...

لم تستطع أن تشتريها،

فاشترتها امرأة أخرى لتُسقطك أمام ابنك، لا أمام الحساب البنكي.

طفلي... يشتهي لعبة لا أستطيع أن أشتريها

في السوق،

كل الآباء يُمسكون بأيدي أبنائهم،

لكن القليل منهم **يحملون كرامتهم معهم.**

دخلنا متجر الألعاب...

أنا و"عبودة"،

وعيناه تلمعان...

ليس فرحًا فقط،

بل **بثقة طفلٍ يؤمن أن أباه بطل خارق.**

أشار إلى لعبة براقة،

تقف خلف الزجاج كأنها تُحرس كنزًا من العزة.

قال:

"بابا... بدي هاي"!

نظرت للسعر...

ألف ليرة.

وفي جيبي...

مائتان فقط، وورقة واحدة قد لا تكفي لغداء الغد.

قلت له بحنان مُكسور:

"في لعبة شبهها تمامًا، هاي بـ200 بس... شو رأيك؟"

وفي اللحظة التي كنت أُقنع فيها طفلي أن الرضا أجمل من الترف...

جاءت نوارة،

وهي تضحك كمن وجد في مشهدي لذة شماتة.

قالت:

"ليش تحرموه؟ جيبوها إياه، خلّيه يفرح"!

ودون أن تنتظر...

دفعت ثمن اللعبة،

وقدّمتها لعبودة،

وقالت له بنبرة مُغلّفة بالسم:

"أنا خالتك... أنا بعرف شو بفرّحك".

لم تشتري اللعبة...

بل اشترت لذة الإذلال، وسكبتها في عينيّ وأنا أتمتم بشكرٍ لا يشبه الشكر.

عبودة؟

لم يكن يعرف.

ضحك، وركض،

وقال:

"بابا شوف... خالتي جابتلي إيّاها"!

ضحك...

وكنت أنا **أبكي من الداخل، كمن أُهين بكامل صمته.**

في تلك اللحظة،

لم يكن المشهد عن لعبة.

كان عن كرامة،

عن رجلٍ **لم يُقصِّر، لكن قُصّت يده عن العطاء.**

عدت إلى البيت وعبودة يحتضن لعبته،

وكل ما كنت أفكر فيه...

أن ابني سيكبر،

ويتذكّر دائمًا أن أول لعبة كبرى في حياته...

لم يجلبها له أبوه.

نوارة؟

ابتسمت وهي تضع وصل الشراء في حقيبتها،

كأنها كتبت عليّ **قسيمة عار.**

📖 الفصل الرابع عشر :إيمان... حين خُدرت بالمصروف، ففقدت عقلها

المال لا يُفسد القلوب...

بل يُكشِفها.

وحين يأتيها **من غير طريقك، من غير جيبك، من غير رجولتك...**

يُصبح لكَ ندًّا، لا عونًا.

في البداية، كانت تتذمر من ضيق الحال.
تقول بحنان مشوّه:
"مش كل حاجة نحسبها... نفسي أعيش مرتاحة".

وكان قلبي يحسب قبل جيبي،
أُوفّر، أُدبّر، أُجمّل الحياة بما أستطيع.
لكن ما كنت أملكه من محبة...
ما عاد يكفيها حين بدأ المال يأتيها **من غير بابي.**

نوارة...
حماتي "هالة الريشي..."
وحسن — أخوها—
كانوا يرسلون لها كل شهر ما يعادل راتبي...
بل أكثر.

كانوا يربّون فيها امرأة تُغني عن رجل،
لا لتستقل... بل لتتمرد.

صارت تسهر على هاتفها،
تتحدث بثقة عن "مشاريعها القادمة"،
تُسجل نفسها في منصات العمل الحر...
تكتب على صفاحات التواصل الاجتماعي أنها "مدرسة لغة إنجليزية من المنزل"،
وتنشر ابتسامة لا تشبه من كانت **تخجل من طلب كيس خبز في بداية زواجها.**

كنت أنا أعمل لأوفر لها بيتًا لا تُفكر فيه في شيء،
كل ما تحتاجه يأتيها دون سؤال...
أما هي، فكانت تُفكّر كيف تُخرج نفسها من عباءتي...
وتستبدل كلمة "زوجي" بكلمة "عملي".
كأن الرجل الذي حمل عنها الأعباء...
صار اليوم **عبئًا.**

حين تشعر المرأة بالأمان المالي بعيدًا عن زوجها...
تفقد تدريجيًا حاجتها له.
ثم تفقد احترامها.
ثم **تفقد ذاكرتها.**

لم تعد تسألني عن مصروف البيت،
ولا تسأل إن كنت أحتاج شيئًا.
بل كانت تُرسل المال لأمها،
وتقول لي ببرود:
"كل واحد فينا يصرف على حاله... خلينا نرتاح من الحسبة".

فهمت حينها...
أن الرجولة لا تُقاس فقط بما تنفق،
بل **بأن تظل وحدك... من تطلب منه الزوجة، لا من تُستغنى عنه.**

وهكذا...

تحوّلت إيمان من أنثى تحتمي برجل،

إلى امرأة **تحتمي من رجل، بمن يدفع لها دون أن يسأل.**

🕮 الفصل الخامس عشر :الخيبة... حين يرتفع عليها صوت الضحك

الخيبة لا تصرخ...

بل تضحك.

لا تأتيك في صورة سكين...

بل في صورة ضحكةٍ من خلف بابٍ موارب،

ضحكةٍ تُقال عنك، وأنت تجلس على بُعد خطوات،

لكن المسافة بينك وبين احترامك ...**تكون وقتها قد أصبحت سنوات.**

كنت أجلس في الصالة،

أصلح لعبة عبودة القديمة...

حين سمعت ضحكة إيمان،

ثم ضحكة نوارة،

ثم جملة كُتمت،

ثم انفجار ضحكٍ أعلى من المعتاد.

ضحكة لا تشبه الضحك...

بل **صفعة،**

ضحكة تشي بأنني كنت الموضوع،

وأن شيئًا قيل عني...

ليس فيه نُبل،

ولا فيه رحمة.

نهضتُ...

كأني ذاهب إلى المطبخ،

لكنني كنت ذاهبًا لأسمع.

فإذا بها تقول:

"ما هو بيتعب نفسه ليه؟

بالآخر أنا بجيب كل حاجة لحالي"!

ضحكت نوارة...

وقالت:

"خليه يشتري لعب... وانتي اشتريتي مستقبلك".

لم أنفجر.

لم أُعاتب.

فقد تعلمت أن **الكرامة حين تُجرَح أمام الغريبات...**

لا يُغسلها الاعتذار، بل الغياب.

رجعت وجلست على الكنبة،

وعبودة بجانبي يُلوّن ببراءة،

فسألني:

"بابا... ليه البنات دايمًا بيضحكوا كتير؟"

لم أستطع أن أُجيبه،

لكنني كنت أعلم أن هناك نوعًا من الضحك...

يُبكِيك من الداخل حتى وأنت تبتسم.

ضحكاتهن صارت **سلاحًا لا يُشهر، لكنه يذبح ببطء،**
لا تترك دمًا... بل تترك رجولةً تنزف وهي تمشي على قدميها.

ذلك المساء، لم أنم.
جلست أعدّ عدد الضحكات التي مرّت في بيتٍ كان يومًا صامتًا،
بيتًا كنت أحميه من الجوع...
لكنني لم أستطع أن أحميه من **السخرية.**

🕮 الفصل السادس عشر: "كلما شرح درسًا... خُطفت زوجته في غيابه"

عن لقاءات نوارة وتلميذه... ومسرح الخيانة الذي لم يغلق ستائره يومًا

في صباحات كثيرة،
كان سامري يخرج مبكرًا، يحمل كتبه ودفاتره،
كعادته، يُرتب كل شيء كأنه ذاهب لحرب،
لكن ما لم يكن يعرفه...
أن الحرب كانت في بيته،
وأنه **كان يُسلّم زوجته للتلميذ نفسه الذي يثق به أكثر من ظله.**

"أين ذهبتِ اليوم يا نوارة؟"
"كوافير... جلسة تنظيف بشرة ومساج"
"آه، ومتى تعودين؟"
"أخلص وأمرّ على السوق شوي".

وما كانت تمرّ على السوق،
ولا تمسكت بموعد في صالون،

بل كانت تمرّ على باب شقة التلميذ،

الذي حفظ تفاصيل جسمها؛ أكثر مما حفظ شروحات أستاذه.

كانت تدق بطرقاتٍ ناعمة،

وتدخل بابتسامة لا تشبه الابتسامات التي تركتها لسامري،

تخلع حجابها كما يخلع بعضهم أقنعتهم...

ثم تهمس:

"اشتقت لصوتك وأستاذك مشغول".

وكان التلميذ...

يمد لها كوبًا من الشاي،

ويأخذ منها ما لا يُشترى،

لا حبًا، بل انتقامًا خفيًا من أستاذٍ لم يره يومًا كندّ.

في كل لقاء،

كان يسقط شيء من قيمة "سامري" دون أن يدري،

بينما هو يُعلّم آخرين كيف يحلّون المعادلات،

كانت زوجته تُحلّ معادلة الشهوة في مكانٍ آخر...

بحبرٍ لا يُمحى.

نوارة؟

كانت محترفة.

تعرف متى تغادر،

تعرف متى تعود،

تعرف كيف تُخفي آثار العطر تحت زيوت المساج.

وكانت تتفنن في الكذب:

"أتعبتني جلسة التجميل اليوم... حاسة إني مش قادرة أقف".

وسامري، ذلك المغفل...

كان يُحضّر لها مشروب الأعشاب،

ويقول لها وهو يقبّل يدها:

"سلامتك... ريّحي، بكرا عنا ضيوف".

وفي الليلة التالية،

كانت ترجع لنفس التلميذ،

وفي سرّه يقول:

"أستاذي؟ مسكين".

الخيانة هنا...

لم تكن لحظة.

كانت مسلسلًا طويلًا،

وبطله الوحيد الغائب...

هو الزوج،

الذي ظن أن التميز في الشرح...

يكفي ليحميه من أن يُشرح هو ذاته على يد من علّمه.

حتى بظل الرجال من حوله"

في البيوت التي تتفسّخ من الداخل،

لا تحتاج الخيانة إلى غريب...

بل يكفي **أن تكون الثغرة من أهل الدار.**

كان عامر...

أخو سامري بن المالح،

شابًا وسيمًا، فارهًا في هندامه،

يعرف كيف يختار كلماته،

وكيف يوزّع نظراته،

وكيف يُظهر نفسه كأنه ظلُّ الحماية...

لكنّه كان **ظلًّا لأشياء لا تُرى إلا في الظلام.**

في مرسين،

كانت الزيارات تتكرّر،

كان يدخل على نوارة دون أن يطرق،

وكانت هي تضحك وتقول له:

"أنت عارف البيت بيتك".

وكان سامري؟

يُعدّ القهوة في الداخل،

ظانًّا أن العلاقات الطيبة بين الإخوة نعمة...

لكنه لم يكن يعرف أن **نوارة لا تؤمن بالحدود،**

وأن جسدها كان مفتوحًا لكل من يجعلها تشعر بأنها موجودة.

أما الكارثة الكبرى...

فكانت في إسطنبول.

كانت إيمان، كلما خاصمتني،

تُقرر أن تذهب إلى هناك "شهرًا" لتُصفّي نفسها...

وكان عامر يأتيها هناك،

في غيابي، في صمتي، في ثقتي العمياء.

يطرق الباب،

ويقول لها:

"جبتلك صابون غار... من أجمل ما تُعطّر به المرأة نفسها".

ويضحك...

ويُكمل:

"والليفة هاي من عند ناس بيفهموا في الجمال... نظّفي حالك".

كان يُهديها أشياء تُلامس الجسد،

وتهمس للوجدان بمعانٍ لا تُقال...

فهل تراه لمسها؟

هل ذاقها كما ذاقتها الشياطين من قبله؟

الجواب لا يُقال،

لكن يُشمّ من أثر الغياب،

من نظرة إيمان وهي تعود إليّ **باردة، صلبة، لا تسأل عني، ولا تقترب.**

كانت نوارة تعلم،

وكان سامري يعلم،

وربما ساعدا على هذا...

لأن البيوت حين تسقط،

لا تسقط من سقفها،

بل من قاع القيم فيها.

أما أنا،

فكنت أُراهن على الحب،

وأبني رجولتي على الوفاء،

وأراهن...

في زمنٍ لا تُربح فيه الرهانات.

🕮 الفصل الثامن عشر: "المرأة التي تسمح لغير زوجها أن يُهديها أشياء الجسد... لا تُؤتمن على سرّ بيت"

لم تكن الهدية باهظة،

ولا مُحاطة بورق فخم...

لكنها كانت تُخفي ما هو أعمق من ثمنها:

كانت تُخفي خيانة ناعمة.

حين يُهديك رجلٌ غريب زجاجة عطر...

قد تبتسمين.

حين يهديك كتابًا،

قد تشكرينه.

لكن إن أهداك **ليفةً للجسد... وصابونًا للاستحمام،**

فهو لا يُخاطب عقلك... بل **جلدك.**

عامر،

دخل على إيمان وهي وحدها في إسطنبول،

وقال لها بهدوءٍ ثقيل:

"جبتلك شي بيناسبك... صابون غار، من اللي كانوا يهدوه للعرايس زمان".

ثم فتح العلبة أمامها،

وبداخلها ليفة شامية،

تلمع من شدة النظافة...

كأنها دعوة مُغلّفة للغرق في حمّام لا أحد فيه سواهما.

ضحكت إيمان،

وقالت له:

"شكلك جاي من حمام سوق النسوان"!

فأجاب وهو يغمز:

"أنا بعرف شو بنات الشام بيحبوا... وخصوصي اللي زيك".

كانت تلك الهدية...

ليست هدية،

بل **نقطة انكسار.**

لحظة ناعمة تُفرغ من المرأة إحساسها بقدسية جسدها،

وتُقنعها أن ما لا يُعطى للزوج...

يُمكن أن يُمنَح للغريب إن تظاهر بالحُب.

أما أنا؟

كنت في مدينة أخرى،

أحجز درسًا، أعدّ واجبًا، أكتب بحثًا،
ظنًّا أنني أؤسّس بيتًا يُحترم.

لم أكن أعلم...
أن زوجتي تُهدي جسدها لمن يُهديها أدوات تنظيفه.

ومن يومها...
بدأت تتغيّر.
أصبحت ترفض أن ألمس يدها،
تتأفف من حضوري،
وتقول لي بأدبٍ مصطنع:
"كل واحد ياخد راحته... ما في داعي للضغط".

لكني كنت أعلم...
أن الضغط ليس منّي،
بل من أثر يدٍ غير يدي...
سبقتني، ووضعت بصمتها على أشياء لا تُغتفر.

المرأة التي **تسمح لغريب أن يلمّح لجسدها،**
أو يُهديها ما يُوضع عليه...
هي امرأة لم تعد تحفظ "الستر"،
ولا البيت،
ولا الرجل الذي كان يراها وطنًا.

🕮 الفصل التاسع عشر: "وحين سُرقت ضحكة أطفالي... فهمت أن البيت لا يُرمم بالحب وحده"

لم يبكِ أحدهم،
لم يشكُ،
لم يقل شيئًا...

لكنني كنت أراهم ينكسرون في كل مرة تعلو فيها نبرة إيمان،
أو تُغلق الباب خلفها دون وداع،
أو تعود في وقتٍ متأخر...
بعطرٍ لا يشبه البيت.

عبودة،
صار يلوّن بصمت.
كان يسألني من قبل:
"ليش ماما بتضل زعلانة؟"
ثم توقف عن السؤال...
كأنه أدرك أن **الأسئلة التي لا تجد جوابًا، تُصبح ألمًا صامتًا.**

أحمد،
كان يراقبني حين أنظر لإيمان...
ثم ينظر للأرض،
كأنه يخجل من شيءٍ لا يقدر أن يسميه،
لكنه يشعر أنه موجود...

بين يديّ والده،

وظهرٍ لا يُسند.

ويزيد؟

صغيرٌ بعد،

لكنه كان يُقاطع صمتي بالعبث،

يرمي ألعابه بعيدًا،

يصرخ بلا سبب،

كأن البيت لا يكفيه حنانًا،

أو كأنه يحاول أن **يُعيد الصوت للحائط الذي لم يعد يسمع شيئًا.**

كنت أظن أن الحب يكفي.

أنني إن أحببتهم،

وأنفقت، وصبرت،

واحتملت خيبات الأم،

يمكن أن **أحفظ أبنائي من شقوقٍ تنبت من تحت الوسائد.**

لكنني كنت مخطئًا.

البيت لا يُرمم بالحب وحده،

بل بالأمان،

بالوفاء،

وبامرأة لا تسمح للهواء أن يدخل من غير نافذتها الشرعية.

كنت أحبهم،

لكنني ما عدت أقدر أن أحميهم،

لأن أمهم صارت ترى نفسها فوق البيت،

وأعلى من الجدران،

وفوق الرجُل الذي بنى كل هذا... من أجلها.

وفي لحظة،

وجدت نفسي أقف وحدي،

أُعدّ ما تبقّى من فتات الذكريات،

وأحسب كم مرة ضحكوا،

ثم اسأل نفسي:

"هل ضحكتهم تلك كانت صادقة؟

أم كانت مقاومة... قبل أن يغادر الأمان قلوبهم؟"

🕮 الفصل العشرون: "الرجل الذي طُعن من الخلف... ووقف ليُربّت على أكتاف أولاده"

الطعنات التي تأتي من الخلف...

لا تقتل مباشرة،

بل تجعل كل خطوة بعدها **نزفًا لا يُرى**،

وشهقةً مختنقةً في صدر رجلٍ لا يُريد أن يسقط أمام أولاده.

كنت أعلم.

كل شيء.

أعرف أن إيمان لم تعد لي،

وأن نوارة صنعت من البيت ساحة خيانة،

وأن سامري مغفل،

وأن عامر لم يكن زائرًا فقط،

وأن أطفالي **يأكلون في بيتٍ ليس فيه دفء،**

ولا فيه أمٌّ تستحق أن يُقال عنها "أمان".

لكنني صبرت.

ليس لأنني ضعيف،

بل لأنني كنت **أبًا...**

والأب حين يُخذل، لا يسقط،

بل يُمسك دموعه ويُربّت على أكتاف الصغار.

كنت أُعدّ الطعام بيدي،

وأحكي لهم قصص النوم،

وأصلح ألعابهم المكسورة،

وأقول لهم:

"أنا هنا... بابا معكم".

بينما أمهم تُحدث آخرين على الهاتف،

وتضحك في الغرفة المجاورة،

وتُخبرهم أن "**الحياة أكبر من رجل بيحاول يفهمني".**

لم أعاتبها.

ولم أصفعها.

فقد أدركت أن بعض النساء **لا يستحقن الغضب،**

بل الشفقة على ما خسرنه... دون أن يشعرن.

وفي كل مرة يُمسك أحد أولادي يدي،

كنت أُقبّله من داخلي،

كأنني أقول له:

"أنا لن أكون غائبًا... كما كانت هي".

لم أعد أطلب منها شيئًا.

حتى حضنها... لم أعد أشتاقه.

لكنني كنت أشتاق لأولادي،

أشتاق أن أراهم يكبرون **في ظل رجلٍ لا يكسرهم...**

حتى لو كان مكسورًا هو ذاته.

كنت الرجل الذي طُعن من الخلف،

لكنه لم يلتفت...

لأنه يعلم أن **الكرامة لا تُرمم بالمواجهة،**

بل بالصمت النبيل،

وبأن لا يرى أولادك أنك انكسرت... ولو كنت تنزف.

📖 الفصل الحادي والعشرون

"باسم الحب... خُدعت" وكانوا يقتلون في نخوتي... كل يوم، دون سكين

في البدء...

ظننت أن الصبر رجولة.

وأن الحب جدارٌ يُسند حتى حين يهتزّ.

ظننت أن الزوجة التي أخترتها لن تُفكر يومًا أن تخون،

وأن الحماة، مهما اشتدّت، **لن تُصبح خصمًا لابنتها... في قلب زوجها.**

لكني كنت ساذجًا.

كانت نوارة تخرج كل صباح،
تقول إنها في المدرسة،
من التاسعة حتى الخامسة،
وتترك إيمان في شقة سامري... وحدها.

هل كانت تُعلّم؟
أم تُهيّئ المسرح لعلاقةٍ لا تحتاج لشهود؟
هل يعقل أن تترك امرأة أختها عند رجل غريب؟
مهما كان " زوج أختها"؟

اتصلتُ يومًا بإيمان...
ردّت بنبرةٍ مرتجفة:
"أنا لوحدي... مع سامري. ونوارة بالمدرسة".

قلت:
"وبيت سامري... صار مأوى للعلاقات التي يُخشى كشفها؟"

فأغلقت الباب.
لا في الهاتف فقط، بل في وجه الحقيقة.

وحين انفجر بي الشك،
وذهبت إلى أمّها - هالة الريشي -
أخبرتها بما يقلقني،
فأجابتني بصفاقةٍ جارحة:
"سامري أَمن عليها منك إنت"!

قالتها وهي لا تعلم أنها **طعنتني في رجولتي، لا في قلبي فقط.**

كيف تكون أمًّا،

وتقول لزوج ابنتها:

"لست مأمونًا عليها،

لكن رجلًا غريبًا - بعيونه الواسعة التي تلتهم كل شيء - هو الأمين؟"

أيُّ نخوة بقيت في قلب رجل،

حين يُقال له إن الآخرين أصلح منه لحراسة بيته؟

كانوا يقتلون في نخوتي...

كل يوم، دون سكين.

يذبحونها بكلمة، بنظرة، بضحكة،

بصمت إيمان،

وبوقاحة حماته،

وبسكوت سامري الذي لا يهمه سوى كسب المال... وراحة ضميره المزيف.

حين تُقتل نخوة رجل،

لا يعود كما كان.

قد يبتسم،

وقد يربّي أبناءه،

لكنه في الداخل **ميتٌ في هيئة رجلٍ واقف.**

🕮 الفصل الثاني والعشرون:

"كلهم خانوك يا خلدون... وأنت كنت تُدافع عنهم كأنك تجهل سكاكينهم"

كنت أظن أنني أعرفهم.

كلهم.

الزوجة،

الحماة،

الأخت،

الصديق،

الأخ.

كنت أقول لنفسي:

"حتى وإن خانوا، فلست من يُغدر".

لكن الحقيقة كانت أوضح من الشك...

وأقسى من أي يقين.

إيمان؟

خانتني أولًا بالصمت العقابي،

وبالطلاق العاطفي،

ثم بالتبرير،

ثم بالوقوف على الحياد بينما البيت يُهدم من الداخل.

نوارة؟

خانت حين فتحت الأبواب،

وجعلت البيت سوقًا مفتوحًا لكل من أراد أن "يجرّب"

أنوثة بلا ضوابط،

وجسدًا بلا حرمات.

سامري؟

خدع نفسه قبل أن يخدعني،

كان في كل مرة **ينتصر لحماقته...**

حتى صارت زوجته ملعبًا لغيره وهو لا يدري.

عامر؟

كان الذئب الصامت،

الذي لم يكن له فضل في حياتي،
لكنه أراد أن يأخذ ما لم يُمنح له...
من بين يدي.

هالة الريشي؟
أمٌّ في بطاقة الهوية فقط،
لكنها في الواقع كانت **مخرجة المسرحية،**
ومدرّبة الممثلات،
وممولة الانقلابات داخل البيت.

وكنت أنا...
الوحيد الذي كان يدافع عنهم جميعًا،
كأنني لا أرى،
كأنني لا أفهم،
كأنني لا أريد أن أصدق أنهم **هُم الخنجر... لا الضحية.**

كنت أبرر لإيمان:
"يمكن تحت ضغط أمّها".
"يمكن نوارة بتحرّضها".
"يمكن تعبانة نفسيًا".

لكنني نسيت أن من تتربى على السُمّ،
تتقيأك أول ما تبتلع أول جرعة مال،
وأول لمسة من يدٍ غير يدك.

كلهم خانوك يا خلدون...
وأنت كنت تقف أمامهم،
تحمل عنهم أخطاءهم،
وتستر سقطاتهم،
وتبتسم كأنك لم تُذبح بعد.

وفي النهاية،
حين وقفت وحدك،
لم تجد أحدًا يقول لك حتى:
"آسف".

وجدت نفسك تتذكر كل مشهد...
وتدرك أنك كنت تُربّت على وجوههم بيدٍ
كانوا يشحذون السكاكين بها.

📖 الفصل الثالث والعشرون

"حين يتآمرون على بيتك... وأنت الوحيد الذي لم يُدعَ إلى الطاولة"

في البيوت المهجورة من الوفاء...
تُدار الاجتماعات حول مائدة لا تُقدَّم عليها طعام،
بل تُوزّع فيها **الأدوار**، **والخطط**، **والضحايا.**

بينما كنت أنا أشرح درسًا،
أو أُعد وجبة لأولادي،
كانت هناك غرفة...
اجتمع فيها سامري، وسحاب والدة سامري، وهالة، وربما عامر،

وكان "الموضوع" على الطاولة هو بيتي،
وزوجتي،
وأولادي.

سامري،
ذو الغيرة القاتلة،
قالها بوضوح:
"لماذا لديه أولاد وأنا لا؟
أنا أغنى منه، وأصلح للتربية منه".

كانت نظرته لا تحمل حزنًا...
بل حقدًا،
كأن الأولاد حقٌّ مسروق...
وليس نعمة.

في شجارٍ دار بيني وبين إيمان،
كانت "سحاب" - أم سامري - تهمس لهالة الريشي:
"زوّجيها لعامر... بنتك مش مرتاحة معاه".

وكانت هالة،
تخفي ضغينتها في غلاف نصيحة،
وتقول:
"دعينا نوسع هوة الخلاف بين خلدون وإيمان،
ونجعل العيال يتمردون عليه... كي ننجح في خطتنا".

وكان الردّ من سحاب:

"عامر سيكون لهم أبًا... ولها رجلاً يُرضيها".

وهكذا...

بين أنفاس الخيانة،

كانوا **يرسمون سيناريو المستقبل... دوني.**

يُخططون لتزويج زوجتي،

وتوزيع أطفالي،

وتسليم البيت - لا للحب - بل للأطماع.

وأنا؟

كنت أُقاتل لأحافظ على اسم العائلة،

وهم يُبدّدونه في جلسة خيانة جماعية.

كنت أُفكر كيف أُصلح نفسي لأجلهم،

وهم يُفكرون كيف يستأصلونني من بين أطفالي...

كأنني لست من أنجبهم.

في تلك الليلة،

حين عرفت ما دار،

لم أصرخ.

لم أبكِ.

لكنني شعرت أنني كبرت عشر سنوات في ساعة.

"حين يُدار كل شيء عنك،

فأنت لم تعد رب البيت...

بل **رقمًا في المعادلة التي يُراد حذفها.**

🕮 الفصل الرابع والعشرون

"حين يُربّى الطفل على رائحة الدخان، بدلًا من دفء حضن أمه"

يزيد...

كان صغيرًا.

عينيه لا تزالان تتعلّمان الفرق بين الليل والنهار،

بين من يحبّه،

ومن يتخذه **ظلًا في مقهى، أو قناعًا في سهرة.**

كانت نوارة تأتي...

بعد أن تُطفئ رغباتها الشاذة،

تبتسم كأنها تزور بيت الرحمة،

وتقول:

"تعالي يا إيمان نغيّر جو... تعبت من جو العيلة".

فتقوم إيمان،

تصفف شعرها،

وتترك يزيد في فراشه أو بين يديّ،

ثم تمضي معها...

إلى ليالٍ لم يبقَ منها شيء،

سوى **دخان سجائر نوارة، وهي تنفثه في وجه الطفل وهي تدري... لكنها لا تُبالي.**

كنت أعود من يومي الطويل،

أبحث عن لحظة دفء مع ابني،

فأجده **مشوش المزاج،**

يبكي دون سبب،

يضرب الأرض بقدميه،

كأن صدر أمه لم يعد يعرف كيف يُهدّئ.

نوارة؟

كانت تجلس في المقهى،

تضحك بصوتٍ عالٍ،

تشرب بشراهة،

وتتحدث عن الرجال كما يتحدثون عن السجائر:

"نختارهم حسب المزاج... ونُطفئهم حين نشبع".

وإيمان...

كانت تتبعها،

كأنها فقدت بوصلة الأم،

ونسيت أن في البيت طفلًا يُدعى يزيد،

طفلًا يرتجف من صوت الموسيقى العالية،

ولا يعرف كيف يطلب الحنان ممن صارت ترتمي في أحضان المقاهي؟

ثم زادت الطعنات...

حين بدأت نوبات الصرع.

إيمان...

لم تعد تحتمل الضغط،

لكنها أيضًا **لم تُحاول أن تتعافى،**
بل كانت تخرج وهي تعرف أنها قد تُسقط في الشارع،
أو تُفقد وعيها أمام غريب... ولا تهتم.

وأنا؟
كنت أضع يزيد على صدري،
وأعد أنفاسه،
وأتساءل:
" هل سينشأ هذا الطفل وهو يظن أن أباه وحده من يهتم؟
وهل ستكبر في قلبه غصةٌ لا نعرف كيف نداويها غدًا؟!"

في تلك الليالي،
كنت أقتنع أكثر،
أن البيت الذي **تُربى فيه الأم على يد أختها الفاسدة،**
لا يُخرج أطفالًا...
بل يُخرج ذكريات تحتاج علاجًا نفسيًا طويلًا.

🕮 الفصل الخامس والعشرون

"البيت الذي تملكه امرأة مثل نوارة... لا يُؤتمن على طفولة أحد"

ليست كل امرأة تصلح لأن تُربّي،
وليست كل أخت تصلح لأن تُرشِد،
وليس كل بيت... يستحق أن يُسمى بيتًا.

نوارة،

المرأة التي كانت تعرف كيف تُغلق الأبواب...

لكن لا لتحفظ من فيها،

بل لتُخفي من يأتي.

تدخل،

تتسلل،

تضحك،

تشعل سيجارتها،

وتقول لإيمان:

"ما بدنا نعيش مثل جداتنا... خلّي الرجال على عماهم".

كانت تتحرك في البيت كأنها سيدة القصر،

لا تسأل عن الأطفال،

ولا عن النظام،

ولا عن الصواب.

وكانت كل مرة تجلس فيها مع إيمان،

تسرق من عقلها قناعة،

ومن قلبها حياء،

ومن أُنوثتها ذاك الجزء المقدس...

الذي يخجل من الانكشاف.

وكانت تحرّض،

وتزرع،

وتُغري، وتغوي،

وتحكي عن الحريات،

وعن السهر،

وعن الجمال الذي **لا يجب أن يُحبس في بيت رجل واحد.**

أما الطفل؟

يزيد؟

كان يرى تلك الخالة التي **لا تبتسم له،**

ولا تقرأ له حكاية،

بل تضع الكأس بجوار رأسه،

وتنادي أمه إلى المقهى...

كأن الحليب قد انتهت صلاحيته.

كان يبكي أحيانًا حين تخرج أمه،

ولا تبالي.

وكان يسكت أحيانًا حين أُحضنه...

لكنني كنت أشعر أن **في عينيه سؤال لا يُقال:**

"لماذا يُشبه بيتي... المقهى؟"

البيت الذي تملكه إمرأة مثل نوارة...

لا يُؤتمن على طفولة أحد.

لأنها لا ترى في الطفل إلا عائقًا،

وفي الزوج إلا قيدًا،

وفي الليل إلا فرصة لاصطياد لحظةٍ؛ **"تحس فيها أنها حرّة بعيدًا عن عين الإله كما تظن".**

والحرية التي تُبنى على الخيانة...

ليست حرية؛

بل **كسرٌ للمبادئ، وهدمٌ للبيوت، ومحوٌ للأمان.**

🕮 الفصل السادس والعشرون

"هل كنت أعيش بينهم... أم أعيش وهمًا اسمه عائلة؟"

في لحظة سكونٍ دامية،

جلست وحدي،

أراقب الصور المعلقة على الجدران،

تلك التي كنا نبتسم فيها جميعًا...

وكل ما فيها كان كاذبًا،

حتى الظل.

سألت نفسي:

هل كنت أعيش بينهم؟

حقًا؟

أم كنتُ أعيش وهمًا محكم الحبك... اسمه "عائلة"؟

إيمان...

التي ظننتها "زوجة العمر"،

تحوّلت إلى رفيقة نومٍ لا تعرف الحياء،

تخرج كلما ناداها ظلّ أختها،

وتعود كأنها كانت في حرب... ضدّي أنا.

نوارة...

التي دخلت بيتي بحجة الأخوّة،

صنعت من كل زاوية فيه **مصيدة،**

ومن كل سكونٍ فيه... استراحةً لعشاقها المجهولين.

سامري...

الذي شاركني الموائد،

كان يطعنني من تحتها بحقدٍ **زرعته فيه عُقدة العقم...**

وظنّ أن أطفالي سلبٌ من نصيبه.

عامر...

كان يأتي كضيف،

ويهدي زوجتي الصابون،

ويختبر الماء الذي سأسقيه لأبنائي بعده...

بيدٍ ليس فيها وضوء.

هالة الريشي...

لم تكن "أمًا" ولا "حماة"،

بل كانت عقل الخية،

توزّع الأدوار،

تُحرّض،

وتبيعني في مزاد الأقارب...

لأجل ابتسامة انتصار أنثوي كاذب.

وسألت نفسي من جديد:

هل كنت زوجًا؟

أبًا؟

رب بيت؟

أم كنت **كومبارسًا** في مسرح خيانة،
له نصُف دور مكتوب...
وحوار محفوظ...
ودورٌ يُؤدى دون أن يُعطى أي مشهد بطولي؟

كل مشهد كنت أظنه "عاديًا"،
كان علامة.
كل ضحكة كنت أظنها فرحًا،
كانت **صفعة.**

كل لحظة نوم...
كنتُ أنا فيها **الوحيد الذي نام فعلاً،**
والبقية كانوا يمثّلون.

هل كنت أعيش بينهم؟
أم كنت فقط **أؤجّر قلبي، ووقتي، ومال بيتي،**
لأناسٍ لا يعرفون إلا كيف ينزعونك... من نفسك؟

🕮 الفصل السابع والعشرون

"من لا يرى خيانته... قد لا يغفرها، لكنه لن يعود كما كان"

ليس كل جرح يُنزف دمًا،
وليس كل من ابتسم في وجهك...
كان نقيًّا.

لكن أقسى ما في الخيانة...
أنك **ترى، وتسمع، وتفهم، وتستوعب،**
ثم تُجبَر على أن تتظاهر بأنك لم تفعل شيئًا.

كنت قد رأيت كل شيء.
لم يعد هناك ما يُخفى،
ولا ما يُقال.

رأيت خيانتهم في الهدايا،
وفي الكلمات،
وفي توقيت الخروج،
وفي رائحة الليل على ثياب الصباح.

رأيت خيانتهم في العيون،
وفي الهواتف التي تُغلق،
وفي الرسائل التي تُمسَح،
وفي الصمت الذي لم يعد بريئًا.

لكني لم أكن أحتاج إلى دليل.
لأن ما رأيته **لم يكن خيانة امرأة،**
بل سقوط بيتٍ كامل... حجرًا حجرًا.

وفي لحظة الإدراك...

لم أصرخ.

لم أصفع.

لم أطرد أحدًا.

بل **سقط شيء في داخلي لم أعد أستطيع إقامته بعدها.**

لم أغفر.

ولم أُعاقب.

لكني تحولت إلى رجلٍ آخر.

رجلٍ يُربّي أبناءه دون أن يُخبرهم عن أمهم.

يردّ التحية على من خانوه... ثم يغلق الباب جيدًا خلفه.

يصنع قهوته بيده...

وكل رشفة منها **تُذكّره أنهم جميعًا كانوا سُمًا في فنجان الثقة.**

الوجع لم يكن في الخيانة فقط،

بل في أنني **لم أعد أعرف نفسي كما كنت.**

من كان يضحك؟

من كان يحلم؟

من كان يُخطط لمستقبل جمعيّ؟

أين ذهب ذلك الأب؟

ذلك الزوج؟

ذلك الراوي الطيب؟

هل مات؟

أم **تحول إلى ظلٍ لا يُرى... إلا حين تطفئ الضوء؟**

من لا يرى خيانته...

قد يبقى ساذجًا.

ومن يراها ويغفر... قد يكون نبيًا.

أما من رآها كلها،

وفهمها كلها،

وظلّ واقفًا...

فهو رجل لن يعود كما كان،

حتى لو عاش بينهم ألف سنة.

🕮 الفصل الثامن والعشرون

"كنت أكتب عنهم... حتى لا أنسى أنني لست المجنون، بل الناجي"

في كل مرة أمسكتُ فيها القلم،

لم أكن أكتب من أجلهم،

ولا من أجل القارئ،

ولا من أجل أي نهاية تُرضي الحكاية.

كنت أكتب فقط...

لكي لا أنهار.

كلما قالوا لي:

"يمكن أنت اللي كبرت الموضوع".

فتحت دفتري...

وذكّرت نفسي:

أنا لم أتوهم.

أنا لم أفسر المشهد خطأ.

أنا لم أظلمهم...

بل كنت الضحية التي رفضت أن تصرخ،
فاختارت أن تكتب.

في كل سطر،
كنت أستعيد رشفة السم،
لكني كنت أبتلعها وأنا بكامل وعيي،
لأنني أعرف أنني إذا نسيت...
سيقولون عني مجنونًا،
وسيكتبون هم نهايتي بدلًا عني.

كنت أكتب عن نوارة...
لا لأفضحها،
بل لأحمي قلبي من تزييف ذاكرتها.
عن إيمان...
لا لأنتقم،
بل لأتذكّر أنني كنت أحبها بصدق،
وأنها **طعنت ذلك الصدق، لا أنا فقط.**

كنت أكتب عن عامر...
حتى لا يقال إنني تخيلت أنه يهديني صابونًا لزوجتي،
وكان يبتسم من خلف ظهري.
عن سحاب وهالة...
حتى لا يقال إنني أفسدت العلاقات العائلية،
بل **هم من صنعوا منها مؤامرة يُراد منها اقتلاعي.**

كل ما كتبته...

كان سطوري أنا،

توقيعي أنا،

شهادتي التي لن أسمح لأحد أن يُلغيها.

كنت أكتب...

لأبقى سليم العقل.

لأقول ليزيد، وعبودة، وأحمد، يومًا ما:

"أبوكم لم يكن مغفلًا... بل كان أرحم من أن يكشف الحقيقة مبكرًا".

أنا لست المجنون.

أنا الناجي.

الذي سار على جمر الحكاية،

وأحرق نصفه،

لكنه خرج بالباقي...

ليروي ما لم يتجرأ غيره على كتابته.

🕮 الفصل التاسع والعشرون

"كان اسمي خلدون... لكنهم أرادوا لي أن أكون مجرد حادث طارئ في حياة إمرأة خائنة"

كنت أحمل اسمي كراية.

خلدون...

ابن النية الطيبة،

رجلٌ لم يُخفِ حبه،

ولم يبخل بعمره،

ولم يخبئ قلبه عن من قال لها:

"كوني لي وطنًا، أكن لك حصنًا".

لكنني كنت وحدي من يحفظ اسمي،

في حين أنهم كانوا **يكتبون لي دورًا آخر...**

عنوانه:

"الرجل الذي يمكن تجاوزه".

مصعب...

تلميذ سامري،

قالها دون أن يعرفني:

"نوارة؟ هذه ليست إمرأة تُخون للمرة الأولى.

هذه امرأة تعيش في مشهدٍ مفتوح،

لا يُغلق الباب خلفها،

ولا تُغلقه في وجه أحد".

كان يرى في نوارة **ابتسامة مصطنعة،**

وصورًا لا تُخفي رغبة...

بل تُعلنها لمن يملك الشهوة والجرأة.

سامري؟

يراني أقل منه لأنني أنجبت،

ولأنني كنت "الأب"،

بينما هو ظلّ ذكرٍ لا يعرف من الرجولة سوى القيد،

فقالها لي مرارًا:

"لماذا عندك أولاد وأنا لا؟ أنا أغنى منك، وأصلح للتربية منك".

سحاب؟

سألت لأجل إيمان... لا لأنها تحبها،

بل لأنها ترى أولادي غنيمة،

وقالتها بكل برود:

"عامر سيكون لهم أبًا".

أما هالة الريشي؛

فكانت المخرجة،

التي رتبت الحوارات،

وجهزت الخطة،

وجعلتني مشهدًا مؤقتًا...

يُراد نسيانه بعد أن ينتهي العرض.

حتى إيمان،

التي قلت لها يومًا:

"أنا لا أُطالبك بشيء... فقط كوني أمًا حين أنظر إليك".

جعلت منّي رجلاً يمكن حذفه من ذاكرتها،

واستبداله بـ رقم،

أو عنوان،

أو تحويلة بنكية.

كان اسمي خلدون.

لكنهم أرادوا لي أن أكون مجرد **صورة تُقطع من طرف الحكاية،**

ولا أحد يسأل: من كان يمسك الحكاية من البداية؟

🕮 الفصل الثلاثون

"حين سقطتُ... لم يمدّ لي أحدٌ يده، لكنني نهضت وحدي، لأنني ما كنت مثلهم"

كل السقوط لا يُشبه ذاك الذي يحدث من أقرب الناس،

حين لا تقع من طعنة،

بل من **خيانة أُعدّت على مهل،**

بين جلسة قهوة، وضحكة ملفّقة، ونظرة كانت تُخفي سكينًا.

سقطتُ... نعم.

لكن ليس لأنني ضعيف،

بل لأنني كنت أصدق.

أصدق البيت،

وأصدق الضحك،

وأصدق أن "العائلة" لا تخون.

وفي لحظة السقوط،

تلفّتُّ حولي...

لم أجد يدًا تمتدّ،

لم أجد كتفًا يربت،

ولا عينًا تُخبرني أنني ما زلت بخير.

وجدتُ الفراغ فقط،

ووجوهًا تُشيّعني دون جنازة،

وتهمس:

"لقد انتهى دوره".

لكنني لم أمت.

بل فتحت عيني،

ورأيت كل شيء كما هو... بلا أقنعة.

ورغم الألم،

رغم العار،

رغم الخيانة التي كانت أعمق من الطعنة...

نهضت.

لم أعد بحاجة لاعتذار.

ولا تفسير.

ولا حتى مواجهة.

كل ما أردته...

أن **أغسل اسمي من طينهم،**

وأرفع ظهري من بين أنيابهم،

وأُعيد لوجهي ملامحه التي كانوا يريدون محوها.

أنا لست مثلهم.

لم أخن،

لم أُرِد أن أؤذي أحدًا،

لم أكن ممثلاً في مسرحية قذرة...
بل كنت **الرجل الذي صدّق أنها قصة حب.**

وفي اللحظة التي نهضت فيها،
لم أعد أبحث عنهم.
لم أعد أنتظر أحدًا.
عرفت أن النهوض لا يحتاج كثيرًا...
فقط **قلبًا لم يتلوث،**
وذاكرة تُدرك أنها لا تريد أن تحمل القذارة معها إلى الغد.

🕮 الفصل الحادي والثلاثون

"خيانة في ثوب البحث العلمي"

في عام 2024،
كانت نوارة بنت الخياط تحمل تذكرة سفر...
لا إلى إنجلترا فقط،
بل إلى حياة أخرى كانت تُخفيها تحت عباءة "الزمالة الأكاديمية".

قالت لسامري:
"سأمضي من أجل مستقبلي العلمي".
لكنه لم يعلم أن المستقبل الذي سعت إليه،
لم يكن على الورق،
بل في عيونٍ لم تعرف عنها شيئًا...
إلا ما أظهرته هي عن نفسها.

هناك، في مؤتمر بريطاني أنيق،

جلست نوارة بثيابها الضيقة،

مُجسّدة **كل ما يُلفت دون أن تقول كلمة،**

وكل ما يُغري دون أن يلمس.

كان هناك رجلٌ هندي اسمه "ميسون بهاردي"،

زميلٌ سيخي من الشرق،

لكنه حمل ثقافة الغرب من رأسه حتى حذائه.

لاحظ كل شيء فيها،

نظراتها المتقطعة،

ضحكاتها التي تُخفي دهاء،

وخطواتها التي تقول:

"أنا امرأة لا يربطني شيء... ولو كنت متزوجة".

في أحد الأيام،

كانت نوارة تقف في حديقة الفندق،

والمعطف على يدها،

شاردة الذهن،

كأنها تنتظر شيئًا... أو أحدًا.

قال لها ميسون بصوت خافت:

"There is something on your back."

صرخت حين قال لها أن على ظهرها صرصور،

قفزت نحوه،

فاحتواها بذريعة لطمأنتها،

وامتدّت اللحظة لما هو أكثر... من مجرد لياقة علمية.

بدأت الصور تُنشر.

صورتان...

ثم ثلاث.

وفي كل صورة، يقترب أكثر،

وفي كل ضحكة، يميل أكثر،

حتى صار ظهوره معها **أوضح من غياب زوجها عنها.**

تساءلت أنا...

كراوٍ لهذه الحكاية،

هل كانت "الزمالة" هي ما رغبت فيه نوارة؟

أم أنها كانت **تبحث عن رجلٍ يُشعرها بأنوثتها**

وبأنها مازالت إمرأة مطلقة عاطفيًا من الداخل،

ولو لم تُوقّع ورقة الطلاق بعد؟

لم يكن سامري حاضرًا هناك،

ولا كان عقل نوارة حاضرًا في زوجها.

كل ما كان حاضرًا...

هو **رغبتها القديمة في التحرر من كل قيد كل رجل حسب رغيتها النسوية،**

وتحقيق انتصار شخصي على من كانت تُسمّيهم "الرجال العاديين".

"خيانة في ثوب البحث العلمي"

كانت صورها تُنشر على وسائل التواصل،

لكن ليس فيها كتاب...

ولا ندوة...

ولا جائزة.

كانت الصور تُظهر نوارة تضحك،
تُمازح،
تقترب من الرجل السيخي ميسون بهاردي؛

وكأن لا شيء يربطها بالأرض،
ولا رجل ينتظرها في بيتٍ آخر.

في إحدى الصور،
كانت يد ميسون تقترب من كتفها،
وفي أخرى، كانت نظراته تُمسك عينيها دون خجل،
وفي ثالثة...كانت يده تمتد لتلامس ظهرها

وفي صورة رابعة...
كانت هي من تميل عليه كأنها تُعلن انتصارها:
"أنا إمرأة لا يُقيدها رجل... ولا ذاكرة".

سامري؟
كان في إسطنبول،
يُعد دفاتره،
ويُدرّس لطلابه،
ويحسب الأيام لعودتها...
بينما كانت هي **تحسب اللقاءات، لا الأيام.**

والأغرب؟
أن أحدًا لم يُنكر عليها.
لم يسألها عن تلك الصور.

لم يعلّق أحد على ملامحها المتغيّرة.

لأنها - ببساطة -**" إمرأة ناجحة"**،

فقد حصلت على درجة الزمالة البريطانية

والخيانة حين ترتدي بدلة رسمية...

تُسمى انفتاحًا.

أما بيتها؟

فكان يتآكل.

الزوج الذي لا يعلم،

والأسرة التي تصمت،

والرجل الذي بدأت تُفكّر فيه كأداة بديلة،

وليس شريكًا حقيقيًا.

في كل لحظة كانت تُنادي فيها النجاح،

كانت تخسر احترامها.

وفي كل مرة كانت تقف فيها على منصة،

كانت تسقط من عيني كل من يعرف أنها **تخلّت عن الحب،**

من أجل لحظة إعجاب من رجل لا يعرف اسم أبنائها.

الفصل الثاني والثلاثون

"سامري... الرجل الذي انتظرها بشغف؛ ليكتشف أنه كان ينتظر امرأة لم تعد موجودة"

كان سامري يعدّ الأيام،
يقول:
"بعد أسبوع... ستعود".
ثم:

"غدًا... تعود".
ثم:
"اليوم... سأراها".

لكن ما لم يحسبه،

أن المرأة التي ستعود...

لم تعد تشبه من ودّعها.

استقبلها في المطار بوردٍ اشتراه على عجل،

وبقلبٍ يحمل ألف سؤال،

لكنه دفنهم في ابتسامة.

مدّ يده إلى حقيبتها،

فقالت له:

"لا، عادي... مش تقيل".

كانت تلك الجملة وحدها كفيلة بأن تُسقط قلبه.

هو يعرفها...

حين كانت تُلقي جسدها عليه لمجرد أنها تعبت من يومها،

فكيف الآن ترفض لمسة يده؟

كيف صار وجوده **"غير ضروري"**؟

في البيت،

كانت تقف أمام المرآة أكثر،

وتتكلم في الهاتف أكثر،

وتضحك لرسائل لا يعرف مرسلها،

وتضع الهاتف مقلوبًا على الطاولة...

كأنها تخجل من أن يُرى ما تفعله،

أو لا تريد أن يُرى ما كانت عليه هناك.

سامري؟

كان مثل طفلٍ ينتظر قصة ما قبل النوم،

فلا يسمع إلا الصمت،

ولا يرى إلا ظهرًا يُدير له الحياة،

دون كلمة،

دون عناق،

دون اعتذار.

تغيّرت.

هذا كل ما كان يشعر به.

لكن التغيير لم يكن مجرد سلوك...

بل **تحوّل جذري.**

امرأة لم تعد تسمح له أن يلمسها.

تُغلق باب غرفتها مبكرًا.

تضحك في وجه الهاتف أكثر مما تضحك له.

وترد على سؤاله بكلماتٍ جافة كأنها تقول:

"مكانك ليس هنا بعد الآن".

ثم بدأ يشك...

يفتش بين الصور،

يرى تعليقات ميسون الهندي،

يرى صورًا لم ترسلها له.

ويرى عيونها هناك مختلفة عن كل ما عرفه عنها في إسطنبول.

وفي ليلة،

لم يتحمل.

قال لها:

"من أنتِ؟"

فأجابت بصمتٍ طويل،

ثم قالت:

"أنا... اللي صرت أعرف قيمتي".

لكنها لم تُدرك أن قيمتها عنده كانت عالية...

حتى قبل أن يعرفها أحد.

الفصل الثالث والثلاثون

"حين تعود الخائنة... لا تعود بخطوات، بل تعود بسكين في يدها"

الخيانة لا تصرخ،

ولا تلوّح،

ولا تضع الكحل أمام عينيها لتقول "أنا هنا".

الخيانة تعود في حقيبة سفر،

وفي نظرة لا تُبالي،

وفي يدٍ تحمل سكينًا...

لكنها لا ترفعها.

بل **تضعها بهدوء على رقبتك...**

وتنتظر منك أن تبتسم، وأنت تنزف.

عادت نوارة من إنجلترا،

لكنها لم تعد معه.

عادت إلى بيت سامري،

لكنها لم تعد زوجته...

بل **نزلت كضيفةٍ ثقيلة،**

تجلس في الركن،

وتكتب شيئًا على هاتفها... ولا ترد حين يسألها:

"لمن تكتبين؟"

كلّ ما فيها تغيّر.

حتى صوتها.

لم تعد تصرخ حين تغضب...

بل تصمت،

كأنها لا تراك أصلًا.

لم تعد تُجادلك...

بل تُسقطك من حسابها،

كأنك سؤال انتهت صلاحية طرحه.

ثم بدأت تُمسك بالسكين...

لا عنفًا،

بل **دهاءً.**

قالت له ذات ليلة:

"أنت رجل طيب... لكن مش كل طيب يستاهل يُكمل معي".

كان يعرف أنها لا تعني "الطيب"،

بل تعني "البسيط"،

الذي لم يفهم أنه كان حارسًا على باب لم يعد له،

وأن زوجته صارت **أقرب لبطلة قصةٍ أخرى،**

كتبها رجل آخر... هناك،

في مؤتمرٍ آخر،

بيدٍ امتدت أكثر مما يجب.

في الأيام التي تلت عودتها،

كانت نوارة **تهدم دون أن تلمس،**

وتقتل دون أن تصرخ،

وتُطفئ دون أن تُلاحظ.

البيت أصبح باردًا،

والأكل صار مجرد ملءٍ للفراغ،

والليل لا يحمل دفئًا،

بل **ينام فيه رجل على طرف السرير،**

تحت لحافٍ واحد،

مع امرأة لا تحبّه... ولا تريده.

وكان سامري كلما مدّ يده إليها،

أمسك بالسكين...

لا جسدها.

الفصل الرابع والثلاثون

"الخيانة لا تبدأ حين تفتح المرأة جسدها... بل حين تغلق قلبها"

في ليالٍ كثيرة...

نام سامري إلى جوار جسدٍ دافئ،

لكنه لم يشعر يومًا أنه بجوار "إمرأة".

كان الأمر كأنك تنام بجانب تمثال،
كأنك تُحادث جدارًا مطليًا بالعطر...
لكنه لا يرد.

الخيانة - كما أدركها -
لم تكن تلك التي تقع في غرفة مظلمة،
ولا في فندقٍ بعيد،
ولا حتى في صور تُنشر بالخطأ.

الخيانة الحقيقية...
بدأت **منذ لحظةٍ قال فيها:**
"أحبك"،
فردّت عليه بابتسامةٍ باهتة لا تصل إلى عينيها.

الخيانة الحقيقية...
بدأت حين توقّفت عن قول "أنا تعبت"
لأنه لم يعد يهمّها أن يُريحها،
وحين لم تعد تسأله:
"وين كنت؟"
لأنها لم تعد تشعر أن مكانه يؤثر على حياتها.

نوارة أغلقت قلبها،
أقفلت الأبواب من الداخل،
وأخفت المفتاح.
صارت تمشي في البيت كزائرة،

وتُحدّث أطفال العائلة وكأنهم ليسوا جزءًا منها،
وتضحك للمجاملات... أكثر مما كانت تضحك لضحكاته.

سامري؟
كان يرى كل شيء...
لكنه كان أضعف من أن يواجه.
لأنه كان لا يزال يحبها...
ويظن أن شيئًا في داخلها سيعود.

لكنه لم يفهم،
أن الخيانة لا تكون دائمًا خيانة جسد،
بل أحيانًا **تكون خيانة صمتٍ،**
وخيانة غياب،
وخيانة امرأة قرّرت أن لا تُحبك بعد الآن... ولم تشرح لماذا.

وفي تلك الليلة...
ناما تحت سقفٍ واحد،
هي بجسدها،
وهو بجسده،
لكن بينهما **آلاف الكيلومترات من المسافة،**
ومحيط كامل من الوجع،
وجدار... اسمه: "ما عدت أراك رجلاً في عيني".

الفصل الخامس والثلاثون

"حين لا يُلمسك أحد... لكنك تشعر بأنك مغتصب من الداخل"

الاغتصاب لا يكون فقط جسديًا.

بل يحدث حين تُسلب كرامتك،

ويُؤخذ احترامك،

وتُداس نُبلك تحت أقدام من ظننتهم أهلك...

وهم يعدّونك "فترة انتقالية" لما بعدها.

سامري...

لم يكن يرى في نوارة فقط زوجة.

كان يراها وطنًا،

وصورةً جميلة لعمرٍ أراد أن يُكملها معها.

لكنه لم يعرف...

أنها كانت ترسم على ملامحها خريطة طريقٍ...

لتهرب من حضنه إلى سريرٍ آخر، ولو كان وهمًا.

لم تمسّه،

لم تصفعه،

لم تخنه أمامه،

لكنها **سحبت يدها حين مدّها،**

وأغلقت جسدها في وجهه كأنه دخيل،

وجعلته يشعر أن مجرد وجوده بجوارها...

هو فعلٌ غير مُرحّب به.

كان ينام بجوارها،

لكنه لا يشعر بدفء.

يتحدث،

لكن صوته لا يلامسها.

يُقبّل ابنتهما...

فتنظر إليه كأنه يُمارس مشهدًا رومانسيًا زائفًا على مسرحٍ سخيف.

وفي كل مرة حاول فيها أن يُعيد الحكاية،

أن يفتح معها بابًا...

أُغلق الباب بهدوء،

كأن أحدًا يقول له دون صوت:

"أنت انتهيت... فقط لم نُبلغك بعد".

سامري،

لم يُخن جسديًا،

لكن **كُرّمَت نوارة بكل ما يملكه من مشاعر... ثم أُهين.**

أُخذ منه الحُب،

وأُخذ منه الرجاء،

وأُخذ منه الشعور بأنه **رجل، يُراد له، ويُنتظر منه، ويُحب.**

وهكذا عرف للمرة الأولى...

أن أقسى أنواع الخيانة،

هي التي لا يراك أحد وأنت تتألم فيها،

لكن **كل من حولك... شارك في صناعتها.**

الفصل السادس والثلاثون

"في ذلك البيت... لم أكن الزوج، بل كنت الطيف الذي يُغلق الأنوار بعد انتهاء العرض"

في كل بيت،

هناك من ينام أولاً،

ومن يطفئ آخر ضوء،

ويغلق آخر نافذة،

ويُطالع السقف لدقائق،

ثم يهمس:

"غدًا يوم جديد".

أما في بيت سامري،

فلم يكن هناك "غد"،

ولا "يوم جديد"،

بل تكرار مؤلم لمشهدٍ واحد...

الخيانة تنام في سريره،

والخذلان يتسلل من تحت الباب،

والبرد يسكن في حضنه... دون أن يسأله أحد: هل ما زلتَ هنا؟

نوارة لم تَرحل...

لكنها لم تكن.

تجولت في البيت كضيفةٍ ضاقت بوجودها الجدران،

وصارت خطواتها **تُحدث صدىً لا حياة بعده.**

سامري؟

لم يكن الزوج.

ولا الرجل.

ولا حتى الشريك.

كان مجرد "طيف"،
يمرّ على الغرف ليغلقها،
ويُطفئ الأضواء،
ثم يعود إلى فراشٍ صار أكبر من جسده...
لأن الذي كان يملأه؛ هو شعور: "أنا محبوب".
وقد ذهب.

في الصباح،
يُحضّر القهوة،
ويتركها على الطاولة... دون أن يسأل:
"هل ستشربين؟"
لأنه يعرف أنها لن تجيب،
وإن أجابت، فلن يكون الرد عن القهوة،
بل عن القيد... الذي صار يُثقلها.

وفي المساء،
ينظر إلى المرآة،
فيجد وجهًا يعرفه جيدًا...
لكنه فقد ملامحه شيئًا فشيئًا،
وصار وجه رجلٍ لم يُغدر بجسده،
بل بسيرته، بتاريخه، بأمانه.

وهكذا،
صار كل يوم يُشبه سابقه.
وسامري...

الذي كان الزوج،

الراعي،

السند...

صار "مجرد موظف في بيت لا يملكه".

يؤدي دوره حتى النهاية،

ثم يُطفئ الأنوار...

ويخرج.

الفصل السابع والثلاثون

"نوارة لم تكن امرأة واحدة... بل كانت ألف خيانة بوجهٍ واحد"

كانت نوارة،

وفي ظنّ سامري أنها "زوجة"،

وفي ظنّ من عرفوها أنها "أخت"،

وفي ظنّ المجتمع أنها "معلمة، مثقفة، صاحبة مشروع".

لكن الحقيقة؟

أنها **لم تكن شيئًا مما ظنّوه،**

ولا أحدًا مما قالت.

نوارة...

كانت **امرأة بألف نسخة،**

كل نسخة مخصصة لرجل أو زمن أو غاية.

عند سامري...

كانت الزوجة التي تعبث بثقة رجلٍ لا يعرف من أين يُمسك الخيط.

وعند أهلها...

كانت الضحية التي يُخدش اسمها إن واجهها أحد.

وعند الغرباء...

كانت "الأنثى المتحررة" التي تُمارس الحياة كما تُحب،

ولو على حساب من يحبها.

لم تكن امرأة تخون لأول مرة.

بل كانت **سيدة المسرح،**

تُخرج المشاهد،

توزع الأدوار،

وتعرف متى تضحك،

وكيف تبكي،

وكيف تُسقط الرجل دون أن تمسّه بيد.

أما ماضيها؟

فلم يكن أنظف من حاضرها.

بل كان أكثر ظلمة...

لكنها كانت بارعة في تلميع الصورة،

وتكرار عبارة:

"ما في شي بيني وبين حدا".

حتى صارت تلك العبارة هي الجدار الذي تحتمي به...

حين يُقارب أحدهم الحقيقة.

سامري اكتشف أن ما عايشه،

لم يكن فصل الخيانة الأول،

بل الأخير فقط في سِلسلةٍ **لم تبدأ معه،**

ولن تنتهي عنده.

نوارة؟

لم تكن امرأة فقدت بوصلتها...

بل كانت هي البوصلة لكل من ضلّ،

ولكل من أراد أن يرى في المرأة مجرد **أداة عبور**،

لا قلبًا يسكن،

ولا أمًا تُحتضن،

ولا شريكة تُؤتمن.

وفي اللحظة التي عرف فيها سامري أن نوارة **ليست امرأة بوجهٍ واحد،**

بل ألف خيانة بوجهٍ واحد،

لم يغضب...

بل برد قلبه،

كمن استيقظ أخيرًا من كابوسٍ طويل...

ليحمد الله أنه نجى،

ولو بقلبٍ محطم.

الفصل الثامن والثلاثون

"الخيانة لا تموت حين تنكشف... بل تظلّ حية، في كل رجل ظن نفسه كافيًا لها"

ظن سامري، في بدايته مع نوارة،

أنه **"كافٍ..."**

رجلٌ له بيت، وله حلم،

وله قلب واسع يسع إمرأة بوجعها وتقلّبها.

لكن الحقيقة؟

أن بعض النساء لا يُشبعهن الحُب،

ولا يُكفّهن الأمان،

ولا يُروين بالوفاء...

لأنهن ببساطة لا يعطين القلب لمن يعطيهن،

بل **يذهبن به إلى من يُهين،**

إلى من يجعلهن يسقطن... ويمشين خلفه.

حين انكشفت خيانة نوارة،

لم تمت الحكاية.

بل بقيت حيّة...

كظلٍ طويل يتبع كل رجل يشبه سامري،

رجلٌ ظنّ أن قلبه يكفي، وأن نيته تحمي،

وأن الوفاء يُغني عن الحذر.

الخيانة لا تموت بانكشافها،

لأنك لا تنساها،

ولا تُشفى منها،

ولا تمحوها الاعتذارات،

ولا تطهرها الأيام.

الخيانة تظلّ **صوتًا في عقلك،**

يهمس كلما أحببت من جديد:

"ربما لا تكفي".

سامري؟

لم يكن ناقصًا.

بل كان زائدًا عن حاجة امرأة مثل نوارة،

امرأة تبحث عن الضجيج، لا السكينة،

عن الاستعراض، لا الاحتواء،

عن رجل تفرح بإخضاعه…

لا رجلٍ **تفرح بالسكَن إليه.**

وهكذا تعلّم الدرس الأخير:

أنك حين تحب إمرأة لا تعرف قيمتك،

ستدفع من عمرك فواتير طويلة…

ثم تُحاسب نفسك بدلًا عنها،

وتغفر لها ما لا تغفره لنفسك.

الفصل التاسع والثلاثون

"الرجال لا يُهزمون في المعارك… بل في البيت، حين لا يعود فيه قلب يُحبهم"

كان سامري يُظن أنه قويّ،

وأنه الرجل الذي لا يسقط،

وأن كل ما يواجهه في الحياة…

تدفعه خطاه الصلبة لعبوره.

لكنه لم يعرف أن أقسى المعارك،

ليست تلك التي تحتاج سيفًا…

بل التي تُقاتل فيها دون سلاح،

ودون عدو ظاهر،

وتُهزم فيها **بكلمة، أو بنظرة، أو بظهرٍ يُدير لك الحياة.**

في معارك الخارج،
كان سامري يُربح الطلاب،
ويحفظ وجهه أمام الناس،
ويُلقّن كل خصم درسه.

لكن في بيته...
كان يخسر كل يوم،
من غير صوت،
من غير شكوى،
من غير صفعة.

بل فقط، من امرأةٍ تُغيّر وجهها أمامه،
وتُطفئ الضوء الذي كان يُضيء قلبه،
ثم تمضي...
دون أن تغادر المكان.

الهزيمة هناك...
كانت حين صار الصمت لغة دائمة،
وحين صار النوم على طرف الفراش عادة،
وحين صار الرجل يُعدّ الأيام، لا لأنه ينتظر،
بل لأنه **يريد أن يرى متى يُشفى من قلبٍ ما عاد يُحبَّه أحد.**

الهزيمة هناك...
حين يفقد الزوج **الاحتياج،**
ولا تُطلب منه يد،
ولا عين،

ولا حتى سؤال:

"كيف يومك؟"

كل الرجال الذين رأيتهم يُهزمون...

كانوا يرفعون سيوفهم في الخارج،

ثم **يتقوقعون في الداخل،**

حين لا يجدون من يقول لهم:

"ما زلتَ رجلًا في عيني".

وسامري،

الذي ما عرف الهزيمة من قبل،

كان يُطفئ الأنوار كل ليلة،

ثم يتمتم لنفسه:

"ما أصعب أن تُهزم... في بيتك،

باسمٍ كنت تردده في دعائك،

وصار اليوم لا يُجيبك ولو بنظرة".

الفصل الأربعون

"الخيانة لا تذبحك دفعةً واحدة... بل تقطعك على مهَل، وتنتظرك أن تشكرها بعد كل طعنة"

لم تكن نوارة تحمل خنجرًا في يدها،

ولا كانت صريحة بما يكفي لتقول:

"أنا لا أحبك".

لكن سامري،

كان يشعر أن جسده يتناقص،

أن روحه تُنتزع،

أن كرامته تُنزف،

كل يوم،

بلا قطرة دم واحدة...

بل **بكلمة تُؤجل،**

بنظرة تُخفض،

بصمتٍ يُبتر قلبه دون جراح.

كانت تعرف كيف تذبح،

لكنها لا تُخرج السكين من جيبها،

بل من أسلوبها.

من تأخرها في الرد،

من برودها حين تضحك،

من غيابها حتى وهي أمامه.

كانت تطعنه حين تبتعد وهو يقترب،

وحين يهمس فترد بجفاء،

وحين يُحضّر لها قهوتها فتتركها تبرد...

كأنها تقول:

"كذلك أنا... لم أعد أشربك كما كنتُ أفعل".

وفي كل طعنة،

لم تقل له: "آسفة".

بل كانت تُطالبه أن يكون "ناضجًا"،

أن يفهم،

أن يتحمّل،

أن يكون رجلًا حليمًا...

كأنها تُريد منه أن يصفّق وهو يتقطّع.

سامري لم يُذبح مرة،

بل كان يُقطّع مثل ورقة مهملة،

كأنها أرادت أن تُزيله من حياتها

ببطءٍ، دون فضيحة،

ودون أن تُتّهم بشيء،

ودون أن تُدان.

وكانت الخدعة الكبرى؟

أنها جعلته هو...

يشكّ في نفسه،

في جدواه،

في قدره،

في رجولته.

فصار، بعد كل طعنة،

يتساءل:

"هل أنا السبب؟"

بينما هي تمضي،

كأن شيئًا لم يكن...

إلا رجلًا يُذبح على مهل،

ولا يُسمح له حتى أن يصرخ.

الفصل الحادي والأربعون

"لستُ الضحية لأنني خُنت، بل لأنني كنت وفيًا لأكثر من إنسانة لا تستحق"

سامري...

لم يُخن،

لم يطعَن،

لم يُدنّس حبه،

بل بقي على عهده...

حتى آخر لحظة،

حتى بعدما انطفأ كل شيء إلا ضوء الرجولة في قلبه.

ولذلك،

لم يكن ضحيّة الخيانة،

بل **ضحيّة الوفاء.**

نعم...

ضحية الصدق حين أُعطي لمن لا يحفظه،

ضحية الرجولة التي قُدّمت لامرأة لا تُميّز بين اليد التي تُمسك بها بحب،

واليد التي تُصفّق لها حين تسقط.

لم يكن خطؤه أنه أحب.

ولا أنه سامح.

ولا أنه صبر.

خطؤه الوحيد؟

أنه **ظن أن الوفاء يكفي،**

وأن التضحية تشفع،

وأن المرأة التي بين يديه...

ستبقى حين تشتد العواصف.

لكنه لم يكن يعلم،

أن بعض النساء لا يهربن من الخيانة...

بل **يهرُبن إلى الخيانة.**

في النهاية،

لم يقل: "أنا غبي".

بل قال:

"أنا رجل... أحببت كأني لا أُؤذى،

ووفيت كأن لا أحد سيغدر،

وصبرت كأن المعجزة قادمة".

وها هو الآن...

لا يحتاج إلى اعتذار،

ولا إلى عودة،

ولا إلى تفسير.

كل ما يحتاجه:

أن **ينظر في عيني نفسه،**

ويقول لها بثقة:

"لم تكن أنتَ الخطأ،

بل كانت هي الخيانة متنكرة في هيئة امرأة".

الفصل الثاني والأربعون:

"اسمي سامري... وليس ضحيّتك"

لا شيء أشدّ ظلمًا من أن تُختصر في جملة،
تُلصق بك كأنها قدر:
"ضحية خيانة".

لكن سامري...
لم يكن ضحية،
ولا صفحة ثانوية في حكاية امرأة قررت أن تعبث بالقلوب،
وتكسر البيوت،
ثم تمضي دون أن تلتفت وراءها.

كان رجلًا كاملًا...
بكل ما تحمله الكلمة من وجعٍ وكرامة.

لم يُخلق ليُذكر في الهامش،
ولا ليكون "قصة حبٍ منتهية"،
ولا ليُقال عنه:
"كان طيبًا... فخانوه".

اسمه "سامري"،
رجلٌ يعرف معنى الرجولة،
ويفهم معنى الوفاء،
ويقدّس العشرة.

لكنهم...
أرادوه رقمًا،

مجردًا من صوته،

من حقيقته،

من إنسانيته.

حين نظر في المرآة أخيرًا،

لم يرَ رجلًا مكسورًا،

بل رأى رجلًا نجا من عاصفة،

ورغم كل الدمار... بقي واقفًا.

رفع رأسه،

ونظر إلى الفراغ الذي تركوه،

وقالها بهدوء الواثق:

"لن أكرهكم...

لكن لن أسمح أن يُقال عني: كنت أحد فصولكم".

في تلك اللحظة،

لم يكن بحاجة للانتقام،

ولا للبكاء،

ولا حتى للغفران.

كل ما فعله؟

أنه **نزَع اسمه من سجلّ الخائنين،**

ورفعه فوق ذاكرة من أرادوا تشويهه.

الفصل الثالث والأربعون

"أنا لا أبحث عن امرأة... بل عن نفسي التي ضيّعتها بينهم"

لطالما قالوا:

"الرجل حين يُكسر، يبحث عن إمرأةٍ تُرمّمه".

لكن سامري لم يكن بحاجة إلى امرأة،

بل إلى نفسه...

التي بعثرها في محطاتٍ كثيرة،

وظنّ كل مرة أنه وجدها،

لكنه كان يُسلّمها لمن لا يعرف قيمتها.

الآن، بعد كل هذا...

لا يبحث عن يد تُمسكه،

ولا عن جسد يضمه،

ولا عن كلمة حب تُقال له قبل النوم.

بل يبحث عن قلبه،

عن رجولته كما عرفها أول مرة،

عن **وجهه الذي أُطفئت ملامحه في مرآة امرأةٍ خائنة،**

وظلّ لسنواتٍ لا يرى فيه إلا الشك،

والخذلان،

والسؤال الموجع:

"هل كنتُ كافيًا؟"

سامري بن المالح اليوم...
لا يحمل عطر أحد،
ولا يفتّش في أرشيف الذاكرة عن ابتسامة،
ولا يتأمل الرسائل القديمة.

بل يمشي وحيدًا،
رأسه مرفوع،
وصدره مفتوح لرياحٍ جديدة،
ويقول لنفسه:

"لن أسمح بعد اليوم أن أُحب أحدًا،
قبل أن أُحبني أولاً".

هو لا يبحث عن "إمرأة صادقة"،
ولا "حنان مفقود"،
ولا "قصة بديلة."

هو فقط...
يريد أن **يُربّي قلبه على التوازن من جديد،**
أن يُعيد بناء رجولته من لبناتٍ لم يمسّها الزيف،
أن ينهض من الحكاية،
دون رغبة في كتابة أخرى،
بل رغبة صادقة في قراءة نفسه...
بعد طول غياب.

الفصل الرابع والأربعون

"الذين يُغادرونك لا يأخذون شيئًا... بل يُفسحون لك الطريق لتعود إلى نفسك"

كل الذين رحلوا...

كل الذين خذلوك،

كل الذين نظرت لهم ذات يوم وقلت في قلبك:

"أحتاجهم"،

ما كانوا يأخذونك معهم،

بل **كانوا ينزاحون عن الطريق،**

ليتركوها خالية...

كي تراها كما يجب: طريقك وحدك.

سامري كان يظن أن نوارة حين خرجت من حياته،

أخذت منها قطعة لن تُعوّض،

وأنها تركت فيه فراغًا لا يُملأ.

لكن الحقيقة؟

أنها **أخلت المساحة التي كانت تمنع الضوء من الدخول.**

بخروجها،

لم يخسر شيئًا...

بل بدأ يرى.

بدأ يسمع نفسه.

بدأ يتذكّر:

من هو؟

وما الذي أراده أصلًا قبل أن يُختصر في كلمة "زوجها".

الذين يغادروننا فجأة،

هم أحيانًا هدية لا نفهمها في وقتها.

لأننا في البداية لا نرى سوى الوجع،

لكن بعدها،

نُدرك أننا كنا **نحمل على أكتافنا من لا يستحق،**

ونُغرق في دواخلنا من لا يعرف كيف يكون ملجأً.

اليوم...

يمشي سامري بن المالح في صمت،

دون لوم،

دون حقد،

دون ندم.

فقد تعلّم أخيرًا أن الرحيل **ليس فقدًا...**

بل فرجٌ تأخّر،

وأن الخذلان لا يُطفئ النور...

بل يُعلّمه كيف يشتعل من الداخل.

الفصل الخامس والأربعون:

"أنا الناجي... لا الضحية"

لم يكن سامري فقيرًا،

ولا جاهلًا،

ولا كسولًا.

بل كان رجلًا جمع المال ليرضي امرأة،

ثم جمع الكرامة بعد أن **أهانته هي بنفس المال.**

كان يحسب أن توفير "الراحة" كافٍ،

أن الجهد اليومي والتعب المستمر كفيلٌ **أن يزرع الوفاء في قلب نوارة،**

لكن قلبها لم يعرف الوفاء،

لأنه لم يكن يعرف معنى الاكتفاء.

أخطأ سامري حين ظنّ أن "الإنفاق" يُساوي "الاحتواء"،

وأن الذي يعطي أكثر...

يُحب أكثر.

لكن الواقع علّمه شيئًا آخر:

أن بعض النساء لا ينظرن إلى اليد التي تعطي،

بل إلى اليد التي تُهين وتُعذّب...

وأن الكرامة، حين تُفرّط فيها مرة،

لن تشتريها بعدها بأي عملة.

في نهاية الحكاية؛

لم يكن الخسارة فقط مالًا،

بل **كُسر شرف رجل،**

تُرك عاري القلب في بيته،

يُحدّث الأثاث،

ويُطفئ الأنوار...

ويُحاسب نفسه على جريمة لم يرتكبها.

لكنّه اليوم...

لا يكتب "مأساته."

بل يكتب نجاته.

نجا من إمرأة لا تشبع،

ومن عائلة لا ترحم،

ومن قصةٍ لا بطل فيها إلا دموعه.

وقف على قدميه،

وقال للعالم:

"لستُ ضحية...

بل أنا من مشى على شظايا قلبه حتى نجا،

وأنا من حفظ اسمه،

رغم أنهم حاولوا تمزيقه بكل الطرق".

💔لم يعد يبحث عن الحب.

لم يعد يشتاق للعودة.

ولم يعد يتمنى تفسيرًا.

كل ما يريده اليوم:

أن يعرف من هو

بدونها،

وبعدها،

وبلا أي أثرٍ منها عليه.

📜وهكذا تنتهي الرواية...

لكن تبدأ الحكاية الجديدة.

التي تُروى بصوت واحد فقط:

"سامري بن المالح... الناجي من نوارة بنت الخياط".